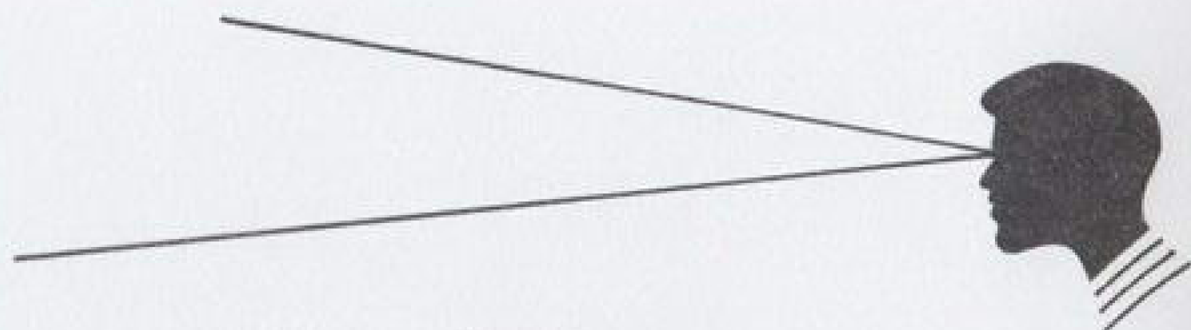
٦

سلسلة رجـل المهام الصعبـة

نسر الأعماق



نسرُ الأعماق



سِلسلة
رَجُل المَهَام الصَّعبَة
المغامرة السادسة

نسرُ الأعماق

تأليف : مَجدي صابر

دارُ الجيل
بيروت

الطبعة الثانية

١٩٩٩



دار الجيل

للطبع والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان

ص.ب ٨٧٣٧

رجل المهام الصعبة:

انها سلسلة جديدة حافلة بالاثارة والمغامرة نقدّمها لك أيها القارئ العربي الكريم..

ففي ظل عالم بات يعتمد كثيراً على أجهزة مخابراته ووسائلها السرية لتحقيق أهدافه.. وفي ظل ما يسمى بحرب المخابرات السرية.. وفي ظل أقصى درجة من المهارة والذكاء يبرز اسم «ماجد شريف».. فهو طراز جديد فريد لا مثيل له في عالم المخابرات..

واذا كان «جيمس بوند» هو اسطورة الغرب في دنيا المخابرات.. فإن «ماجد شريف» هو الأسطورة القادمة من الشرق.. من الوطن العربي الكبير..

فهو الرجل الذي لا يقهر.. والذي يدخره رؤساؤه للحظة الأخيرة.. حيث لا يكون هناك حل آخر غير «ماجد شريف»..

ولم يحدث أن خيّب «ماجد» أمل رؤسائه فيه أبداً..

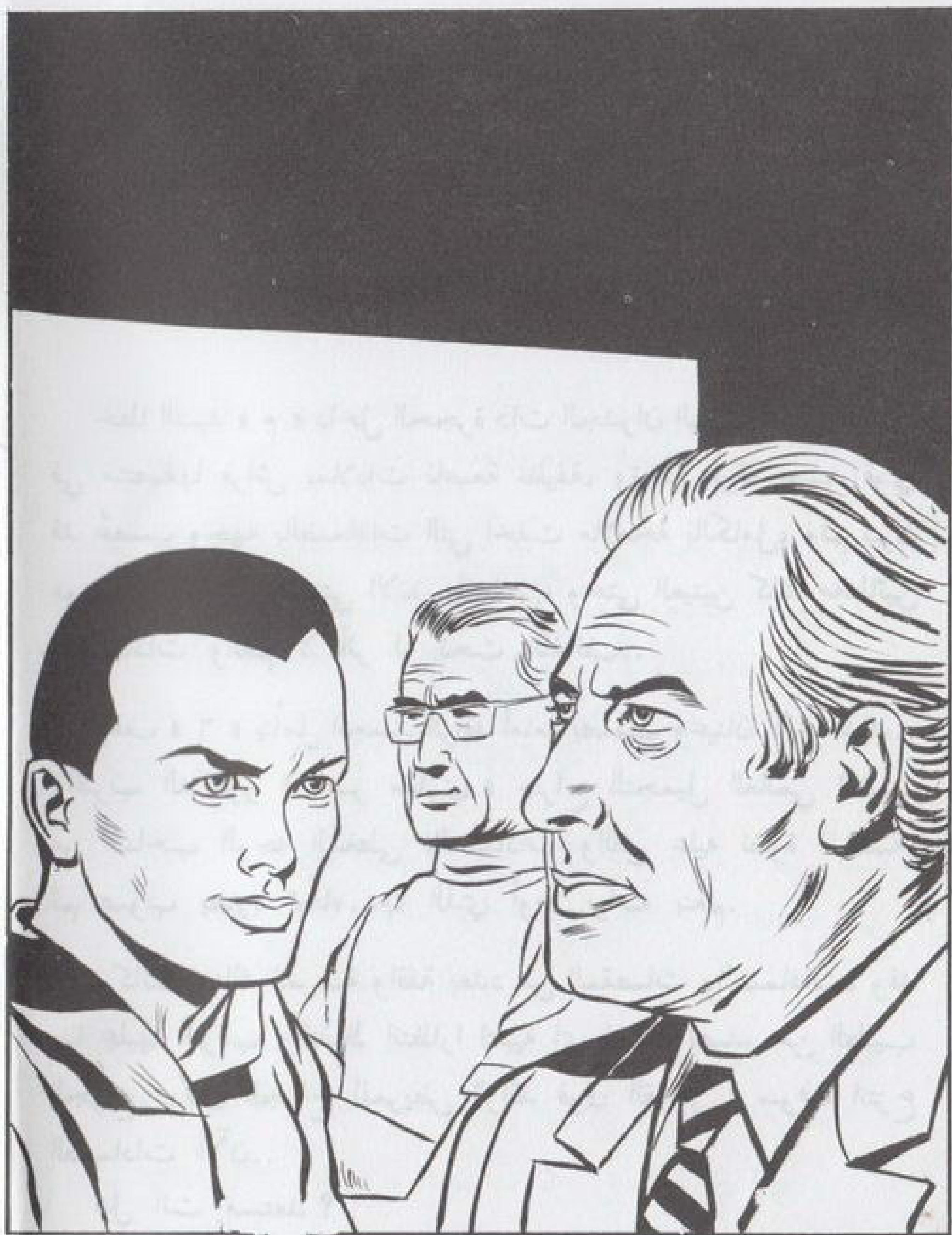
« السمكة المتوحشة »

خطا السيد « م » داخل الحجرة ذات الجدران البيضاء التي انتصب في منتصفها فراش بملاءات ناصعة نظيفة، وتمدد فوقه جسد قوي قد عُصب وجهه بالضمادات التي اخفت ملامحه بالكامل، ولم تترك موضعا خاليا غير فتحتي الانف للتنفس، وحتى العينين كانتا مغطاتين بالضمادات والفم لا أثر له تحت اللفائف..

وقف « ٦ » يتأمل الجسد الراقد أمامه بصمت وعينان لا ترمشان.. واقترب الدكتور « ناصر مغازي » جراح التجميل العالمي الشهير من صاحب الوجه المغطى بالضمادات والقى عليه نظرة فاحصة، ثم صوب بصره تجاه «م» الذي أومأ برأسه بنعم.

وكانت هناك ممرضة واقفة بعدد من المقصات والضمادات، وقد بدا عليها الترقب والتقيظ انتظارا لتلبية اي اشارة تصدر من الطبيب الجراح. وقال الجراح للمريض الراقد فوق الفراش : سوف انتزع الضمادات الآن..

هل انت مستعد ؟



أوماً صاحب الوجه المعصوب بنعم بهز رأسه مرة واحدة.. وأدار رأسه ببطء كأنه يمسح فراغ الحجرة بعينيه برغم الضمادات التي اغلقتها. وقال «م» بصوت هادئ مألوف : انني هنا يا ماجد.. ان كل شيء يسير على ما يرام.

ساد الصمت لبرهة قصيرة.. وامتدت يد الجراح إلى الوجه تحل عنه لفائفه.. وببطء ومهارة راحت اصابع الجراح الخبيرة كعازف بيانو ماهر تحل اللفائف في أعلى الرأس فكشفت عن شعر مقصوص قصير كشعر المجندين من رجال الجيش.

وكان لون الشعر القصير اصفر مائلاً للون البني.. وبنفس المهارة راحت اصابع الطبيب تزيح اللفائف كاشفة عن الوجه، وقد احاطت بالعينين ضمادتان كبيرتان، وبالأنف ضمادة أخرى اخفته تحتها، واستقرت ضمادة ثالثة تغطى الشفتين.

ببطء وحرص ازاح الطبيب الضمادة التي تغطي الفم، فظهر أسفلها فم قوي مزموم وشفتان مليئتان بالدم والصحة، وشارب قصير بني اللون فوق الشفة العليا. وازاح الجراح الضمادة التي تغطي الانف فظهر اقل من حجمه السابق، وقد اختفت عظمتا الانف العلويتان اللتان كانتا تغطيانه ايحاء بالقوة والصلابة فظهر الانف صغيرا بالقياس إلى السابق وقد تبدل لون جلده من السمرة الخفيفة إلى لون اشقر.

وازاح الطبيب الضمادتين الكبيرتين اللتين تغطيان الوجنتين فظهرتا

في أسفلها بنفس لون الانف الاشقر، وقد انطبعت فوقهما بضع نقاط بنية من النمش.. وكان شكل البشرة الرقيق يعطي احساسا أن صاحبها لم يتعرض لشمس قوية طوال عمره، وأنه في الاغلب الأعم من سكان الدول الاسكندنافية وشمال أوروبا.

واخيرا ازاح الطبيب اللفافتين الاخيرتين من فوق العينين المغمضتين اللتين رمش جفناهما مرة أو مرتين دون أن ينفتحا.

تأمل الجراح الوجه الساكن امامه.. كان يبحث عن أي اثر يدل على أنه تمت اجراء جراحة تجميل غيرت من معالم الوجه بالكامل فلم يجد. وارتسمت ابتسامة ارتياح كبيرة فوق وجه الجراح، والتفت إلى « م » فجاوبه الاخير بهزة رضا من رأسه..

تم الامر على خير ما يرام وبأقصى قدر من السرية، ولم يعلم به سوى « م » والجراح المصري العالمي الذي اجرى العملية، وكان هناك شخص أو شخصان في قيادة المخابرات يعلمان بها ايضا..

وما عدا ذلك فان أحداً من جهاز العمليات الخارجية بالكامل لم يكن يعرف أن ماجد شريف قد تحول بجراحة تجميل إلى شخصية اخرى مختلفة تماما.

بنفس الصوت الواضح النبرات قال الجراح لماجد : الآن تستطيع أن تفتح عينيك.. ببطء.

رمشت العينان مرة أو مرتين قبل أن يتحرك الجفنان لأعلى..

وأخيراً فتح ماجد عينيه وضاقت حدقتاه عندما صدمه الضوء بعد الظلام الدامس الذي عاش فيه عدة أيام منذ اجراء العملية التجميلية.

حدق « م » في عيني ماجد اللذين اصبحا في لون زرقة المحيط وقد ضاقت حدقتاهما قليلا عن المألوف.. وبدا الجالس فوق الفراش شخصا مختلفاً تماما لا سبيل إلى المقارنة بما كان عليه من قبل ابدا.

وهتف « م » بدون ان يستطيع اخفاء اعجابه : نتيجة رائعة.

مد الجرّاح مرآة مستديرة إلى ماجد، فأمسك بها والقى نظرة متفحصة إلى وجهه واخذ يتفحص ملامحه ويدقق فيها.. ثم ارتسمت ابتسامة عريضة فوق شفتيه وتطلع إلى « م ».

وقال« م » مازحا : لو لم أكن حاضراً العملية لما صدقت لحظة أنك رجلنا. تطلع ماجد إلى الجراح وتحركت شفتاه لأول مرة قائلا : هل يمكنني مغادرة الفراش الآن ؟

ـــ تستطيع ذلك.. وتستطيع أن تمارس حياتك العادية منذ الان ولكن عليك أن تتذكر من هذه اللحظة انك صرت شخصا آخر.

والتفت إلى « م » : ثق من قدرته أيها الجراح انه عميل فذ. والتفت إلى ماجد قائلا : سانتظرك في الخارج إلى ان تبدل ملابسك ونتوجه بعدها إلى المقر.

قال ماجد معترضا : لا اظن أنه سيكون من المناسب ذهابي

معك إلى المقر، والا سيلفت منظري الانتباه، فالمقر ليس معتاداً على دخول الأجانب إليه.

ابتسم « م » ابتسامة واسعة قائلا : معك حق.. لقد بدأت تتأقلم مع وضعك الجديد.. سيكون حديثنا في مكان آخر اكثر راحة.

ورفع يده محييا ماجد وغادر الحجرة وقد ارتسم في عينيه تعبير غامض من القلق والتوتر والاثارة.

ولم يكن ماجد بحاجة إلى من يذكرّه أن مهمته القادمة مهمة فريدة وخطرة للغاية.. وان نجاحها أو فشلها يعتمد على عنصر وحيد هو ماجد.. وأن فشله يعني اشياء كثيرة رهيبة.

بدأت القصة عندما جاءت رسالة عاجلة من أحد العملاء بالقسم الخارجي.. وكان مضمون الرسالة خطيرا.. كانت الرسالة تقول« ابتاع الاصدقاء الوزة العجيبة وهم يستعدون لشحنها إلى بلادهم. »

وكانت ترجمة الرسالة وحل رموزها الشفرية تعني أن الأعداء قاموا بالتعاقد على شراء غواصة نووية حديثة وأنهم يستعدون لتسلم هذه الغواصة خلال اسابيع قليلة في سرية تامة ليكونوا احدى الدول الصغيرة التي تمتلك غواصات ذرية، موجهة اساساً ضد الوطن العربي، مما يهدد بقلب موازين القوة في العالم لصالح الاعداء بصورة رهيبة. وعلى الفور اصاب فرع العمليات الخارجية نشاط محموم لمعرفة مزيد من التفاصيل.. وبرغم السرية التامة التي فرضتها مخابرات الأعداء

على الصفقة حتى لا تتسرب أسرارها إلى الخارج، فقد توصل عملاء القسم إلى معلومات على قدر كبير من الأهمية.

كانت الغواصة المباعة تسمى بالاسم الرمزي «السمكة المتوحشة»، وكانت احدث غواصة في العالم يزيد ثمنها عن ألفي مليون دولار، وكانت من طراز هجومي تعتبر حاملة للقذائف النووية بعيدة المدى من طراز «ترايدنت»، ويصل مدى القذيفة النووية إلى أكثر من عشرة آلاف كيلومترات، مما يجعلها تشكل تهديدا عالياً من الخطر ضد كل الدول العربية مجتمعة. فالقذيفة النووية تطلق من الغواصة تحت الماء لتخرج منه إلى الهواء الخارجي، وتنطلق إلى هدفها في مسار منخفض بحيث لا تكشفها الرادارات ولا تستطيع اعتراضها إلى أن تصل هدفها.

كما كانت الغواصة تمثل تهديدا بالغ الخطورة على الاسطول البحري العربي بالكامل، بفضل سرعتها العالية التي تبلغ ثمانين كيلومتراً في الساعة وقدرتها على الغوص إلى عمق ستمائة متر، واحتوائها على طوربيدات تقليدية واجهزة تجسس وتنصت وهجوم عالية التقنية، كما ان تسييرها بالوقود النووي يتيح لها البقاء والاختفاء تحت سطح الماء مدة شهور طويلة بلا حاجة إلى التزود بالوقود والاكسجين، لحصول ركاب الغواصة عليهما من الطاقة النووية التي تمد الغواصة بحاجتها من الوقود ولسنوات عديدة بلا توقف، فتقوم بفصل الاكسجين عن الهيدروجين من ماء البحر للحصول على

الاكسجين اللازم للتنفس.. أما الماء العذب فتحصل عليه بتقطير ماء البحر، كما تتسع خزاناتها لكميات هائلة من الطعام تكفي بحارتها شهورا عديدة.. ولذلك تستطيع الغواصة البقاء تحت سطح الماء لمدة طويلة مما يصعب، بل يستحيل اكتشافها.

وعندما وُضعت كل المعلومات السابقة امام القيادة تأكدت أن الغواصة النووية تمثل تهديداً نووياً خطيراً لا يمكن السكوت عليه أو تجاوز خطره واهماله.

وجاءت الاوامِر حاسمة قاطعة من القيادة بالتخلص من الغواصة في رحلة ابحارها إلى بلاد الاعداء، وقبل وصولها إلى مياههم الاقليمية حتى تتوه المسئولية، ولا يمكن اتهام أي من الدول العربية بذلك لأن الحادث وقع بعيداً عن مياهها.

وعلى الفور وُضعت خطط حربية عديدة لنسف الغواصة.. وكانت الخطط الموضوعة تشمل مهاجمة الغواصة في المحيط الهادي اثناء ابحارها إلى المنطقة العربية بغواصة اخرى، ولكن نتيجة هذا الهجوم لم تكن مضمونة بسبب تفوق غواصة الاعداء في سرعتها واجهزتها واسلحتها.. أما الهجوم على الغواصة بالطائرات من الجو ومهاجمتها بقنابل الاعماق، فإن لدى غواصة الاعداء من الاجهزة الالكترونية الحديثة ما يمكنهم من اكتشاف القنابل وتدميرها قبل وصولها إليهم، بل ولدى الغواصة من الاسلحة البرمائية ما يمكنها من نسف الطائرات المهاجمة حتى وهي مختفية تحت سطح الماء.

ولذلك أبعدت الخطط الرامية إلى مهاجمة الغواصة من الخارج.. وكانت الخطة الوحيدة القابلة للنجاح هي مهاجمة الغواصة من الداخل، عن طريق ذرع احد عملاء فرع العمليات في طاقمها..

ولما لم يكن ذلك ميسورا لأن اختيار الطاقم قد تم بالفعل من ضمن ضباط بحرية العدو وبعض المرتزقة، لذلك كان التصرف الوحيد الممكن هو استبدال احد العاملين من الغواصة بعميل الفرع الخارجي، وعلى الفور تم الحصول على معلومات عن جميع الضباط والبحارة الذين سيستقلون الغواصة عند ابحارها إلى المياه الاقليمية للاعداء.. وتم اخضاع المعلومات لفحص دقيق من حيث المواصفات الجسدية والجثمانية لجميع ملاحي الغواصة. واخيراً استقر الرأي على اختيار احد الضباط ويدعى « جاك بريموس »، وكان يماثل ماجد في الجسم والوزن والمقاييس الجسدية، وكانت ملامحه قريبة عدا لون العينين والبشرة وحجم الانف ولون الشعر.

وعلى الفور تم استدعاء الجراح المصري العالمي « ناصر مغازي » من لندن، فقام باجراء عدة عمليات متتالية تم فيها تغيير ملامح ماجد بالكامل وزرع قرنية زرقاء في العينين.

وهكذا بدأت الخطوة الأولى في العملية التي أُطلق عليها الاسم الشفري « نسر الاعماق ».



« شلالات خطط.. للموت »

تساءل « م » بلغة انجليزية سليمة وهو يصب لماجد علبة من عصير الجوافة في كأس ذي حواف مذهبة : هل انت مدرك لخطورة ما سوف تواجهه ؟ اجاب ماجد بنفس اللغة وبلكنة خاصة تدرب عليها طويلا : تماما يا سيدي. عاد « م » يقول : لن تكون هناك مساعدة من أي نوع.. سواء في البر أو البحر أو الجو.. ستعمل وحيداً وسط ما يزيد عن مائة من الضباط والبحارة والاعداء.. وسيكون اكتشاف حقيقة شخصيتك هو حكم بالاعدام بالنسبة لك.

ــ تماما ياسيدي.

ــ ولن يكون معك أي نوع من السلاح.. ولن تكون هناك أي اتصالات معنا.

ــ سبق وان عرفت ذلك يا سيدي.

ــ اذا نسيت أي شيء عن شخصيتك الجديدة.. ذكرياتك.. لكنتك الخاصة.. اصدقاءك.. طريقتك الخاصة في المشي.. سيكون معنى ذلك هو انكشاف امرك في الحال.

ــ لقد درس تفاصيل ذلك الضابط « جاك بريموس » بدقة يا سيدي.. ان هناك اكثر من عشرة الآف معلومة عنه حفظتها جيداً وتخيلت نفسي امارسها اثناء اظلام عيني الأيام السابقة.

ــ هذا حسن جدا.. وبخصوص عملك ؟

ــ انني ضابط أول بغرفة التحكم، ومهمتي هي مراقبة اداء المفاعل النووي والتحكم في قدراته وتشغيله، والتحكم كذلك في المحركات ومقدار ما يصلها من طاقة من خلال المفاعل.

ــ وتفاصيل عملك ؟

ــ لقد درست كافة التفاصيل في المركز التكنولوجي بادارة الفرع يا سيدي.. بل ودرست تفاصيل عديدة وكافية عن بقية الاعمال في الغواصة.

ــ هذا حسن جدا.. انه يجعلني اطمئن ولو قليلا عليك في المهمة القادمة. وتطلع إلى ماجد بنظرة طويلة ضيقة وهو يقول ببطء : اتدرك مخاطر وصول هذه الغواصة سالمة إلى الاعداء ؟

ــ انني ادرك ذلك تماما يا سيدي.. ولن يحدث هذا أبداً.. إلا إذا قتلوني أولاً. هز « م » رأسه ببطء، كان لا يميل كثيراً إلى استخدام الكلمات الحماسية لتحفيز رجاله، خاصة إذا كانوا من طراز ماجد.. وأخيرا ألقى السؤال الذي كان يشغله : ما هي خططك لتخريب الغواصة ومنعها من الوصول إلى العدو ؟

ــ لقد وضعت ثلاث خطط يا سيدي لا أستطيع الجزم أيها ستنجح، فهذا يتوقف على الظروف التي سأواجهها.. وأول هذه

الخطط هي اغلاق ابواب تصريف المياه من الغواصة وتعطيلها حتى لا تستطيع الصعود لأعلى، ثم نسف اجهزة التحكم في السفينة واغراقها اثناء انشغال بحارتها وضباطها بمحاولة فتح الابواب.. أما الخطة الثانية فهي تعطيل اجهزة تبريد المفاعل النووي.. وانت تعلم يا سيدي أن المفاعل النووي داخل الغواصة يتطلب تبريدا مستمرا له لما يصدر عنه من حرارة شديدة من مفاعلات الماء الثقيل، وأن أي خلل في جهاز التبريد يعني كارثة وانفجار المفاعل النووي بفعل الحرارة الشديدة.. أما اذا لم اتمكن من الوصول إلى المفاعل النووي لأي سبب فلن يكون امامي سوى تفجير الطوربيدات التي تحملها الغواصة في مقدمتها، وبذلك ستنسف الغواصة نسفا بمن عليها ويكون مصيرها قاع المحيط.

ــ ولكن..

اعرف ما تريد أن تقول يا سيدي.. ان الموت والحياة لديّ يستويان متى تعلق الأمر بمصير بلادي.. انني بالطبع سأبذل كل جهدي للنجاة، ولكن إن لم يكن من سبيل إلى ذلك فإنني لن أتردد في أن تكون حياتي ثمنا لهذه العملية ونجاحها.

أمسك « م » ماجد من كتفيه وهزه بقوة وقال بتأثر : لا أدري ما هي الكلمات المناسبة لأعبر لك عن شعوري..

ــ لا عليك يا سيدي.. والآن هل هناك تفاصيل خاصة أخيرة ؟

ــ نعم.. لقد جاء تقرير أخير من رجالنا بأنه ستُجرى عملية تمويه سرية، حيث ستغوص الغواصة من احدى القواعد العسكرية بشواطئ

المحيط الأطلنطي إلى « السويد » كأنها تقوم بزيارة عادية، حيث يتغير طاقمها ويحل محله طاقم ملاحي من ضباط وملاحي العدو، وتبحر الغواصة في سرية إلى شواطئ الاعداء وسوف تتم عملية تبديلك بالضباط في السويد.. ان ملاحي الغواصة يقيمون في أحد المنازل الكبيرة قريبا من ميناء « جوتنبرج » السويدي.

ــ ومتى ستصل الغواصة إلى الميناء السويدي ؟

ــ بعد يومين.. وخلال هذه المدة ستكون قد حللت محل « جاك بريموس » وسنتولى نحن التخلص منه بعد ذلك.. والآن هل هناك أية أسئلة ؟

ــ لا يا سيدي..

ــ حسنا.. ستقلع طائرة خاصة بك إلى السويد وستتركك قريبا من الشواطئ السويدية في « جوتنبرج ».. وستكون حر التصرف بعدها.

ــ سأكون عند حسن ظنك تماما سيدي.

وحيا ماجد رئيسه بقوة ثم اندفع خارجا بخطوات مستقيمة يشوبها عرج خفيف في القدم اليسرى كأن بها اصابة قديمة.

وزفر « م » زفرة قوية وهو يراقب ماجد، ثم غرق في افكار عميقة.

* * *

«الطريق إلى الجنة.. يبدأ بجهنم!»

ابطأت الطائرة من سرعتها وهي تطير على ارتفاع منخفض فوق الشاطئ السويدي في بقعة نائية من مدينة «جوتنبرج»

كان الشاطئ مقفرا يتناثر فوقه عدد من الصخور الحادة، وتصطدم مياه بحر الشمال بشواطئه في عنف في ذلك الوقت البارد من شهر فبراير، وقد انخفضت درجة الحرارة إلى ما تحت الصفر بعشر درجات على الاقل.

وانفتح باب قرب مؤخرة الطائرة ظهر ماجد في مدخله، وقد ارتدى ملابس ثقيلة ومظلة خلف ظهره وحمى وجهه وعينيه بنظارة كبيرة.

رفع ماجد أصابعه بعلامة النصر، ثم القى بنفسه خارج الطائرة، فصفعه الهواء البارد كالرصاص في وجنتيه وانفه، وتأرجح ماجد هابطا بسرعة والرياح مندفعة بشدة جهة الشمال.. ولم يشأ أن يفتح مظلته على الفور حتى لا تدفعه الرياح إلى منطقة بعيدة.. وفي اللحظة

المناسبة فتح المظلة.. فتأرجحت بشدة وامتلأت بالهواء ودفعته الرياح واتجاهها في تلك المنطقة.. وجاهد ماجد حتى جاءت سقطته فوق بقعة متطرفة يسودها السكون، إلا من عويل الرياح وتلاطم الامواج بشاطئها.

واسرع ماجد يلملم مظلته واخفاها في حفرة سدها بصخرة كبيرة، وتخلص من نظارته وما زاد عن حاجته من الملابس دفنه في نفس الحفرة.

وكان لدى ماجد خريطة صغيرة للموقع الذي هبط فيه، وعلى هداها اتجه جهة الشمال الغربي، وبعد نصف ساعة من السير المتعثر فوق الارض الصخرية القاسية، ظهر شريط اسود طويل من الاسفلت يمتد تجاه قلب المدينة. ووقف ماجد وهو يرتجف من قسوة البرد الذي كاد يطيح به فوق الطريق.. لم تكن معه أية أوراق، وكان يرجو أن تسير وفقا لما تم التخطيط لها، بدون أن يعكر بدايتها أي حادث غير متوقع.

وكما هو محدد تماما من قبل كانت هناك سيارة صغيرة تنتظره بالقرب من الطريق، وبداخلها مفاتيحها وتحيات السيد « م ». وأسرع ماجد يدلف بداخلها ويفرك يديه بقوة طلبا للدفء.. وادار محرك السيارة وانطلق بها صوب قلب المدينة.

كان الطريق خاليا إلا من بضع سيارات عابرة، وقد راح الثلج يهطل بشدة بعد دقائق.. وأخيراً لاحت اضواء المدينة وقد اوشك

الظلام أن يحل على المكان.. وكانت هناك اضواء خافتة بعيدة وقد غطت صفحة السماء اكداس من السحب الثقيلة.

وفجأة اقتربت سيارة شرطة من ماجد وهي تطلق سرينتها، ولوح له قائدها أن يتوقف بجوار الطريق، ودق ماجد بشدة، لم تكن لديه أية أوراق، ولو سأله الضابط عن اوراقه أو جواز سفره لصار في موقف حرج.

امتثل ماجد لأمر الضابط واوقف سيارته، وتوقفت سيارة الشرطة امام ماجد وهبط قائدها واتجه نحوه وتفحصه لحظة ثم سأله: لماذا لم تربط حزام الأمان وانت تقود سيارتك؟

انتبه ماجد إلى خطأه.. ففي «أوروبا» عامة يربط سائقو السيارات احزمة الأمان التي تشدهم إلى مقاعد سياراتهم لتقيهم من الاصطدام بحاجز السيارة عند وقوع الحوادث.. وعلت وجهه مسحة غضب ولوم، فقد انسته سرعته ولهفته ذلك.

قال ماجد للضابط بالفرنسية: انني آسف أيها الضابط.. لقد كنت متعجلا فنسيت ذلك.

سأله الضابط بالانجليزية: ألا تتحدث الانجليزية؟

تظاهر ماجد بعدم فهمه لما قاله الضابط وهز كتفيه في حيرة وهو يقول: انني لا أتحدث غير الفرنسية.

قال الضابط بالانجليزية: اعطني أوراقك.

تظاهر ماجد بأنه لا يفهم.. وعاد الضابط يقول باصرار بالانجليزية : جواز سفرك.. دعني أراه.

تأكد ماجد أن الامور ستسير إلى أسوأ، وان الضابط لن يتركه حتى يشاهد اوراقه، فتظاهر بالبحث عن أوراقه في تابلوه السيارة، وان التابلوه لا ينفتح. ومد الضابط يده يساعد ماجد في عمله.. وكان هذا هو ما يريده ماجد بالضبط.

وبحركة خاطفة جذب ذراع الضابط للداخل، وبضربة قوية من سيف يده فوق رقبته المكشوفة ترنح الضابط ثم تهاوى على الأرض فاقد الوعي.

أسرع ماجد وحمل الضابط وأرقده في المقعد الخلفي لسيارة الشرطة، واغلق بابها وهو يقول للضابط المسيّحي الفاقد الوعي: نوما هنيئا أيها الضابط.. ان الفضول يكون أحياناً عادة سيئة خاصة لمن هم في سنك. وتذكر حزام الأمان الذي نسي ربطه. وقال لنفسه : النسيان أيضا عادة مرذولة !

وعاد إلى سيارته واندفع بها للامام بسرعة كبيرة لا يحتملها محرك العربة الصغير. سار ماجد على هدى الخريطة مخترقا قلب المدينة تجاه مينائها.. وكانت الخريطة تحدد مكان المنزل الكبير الذي يقيم فيه ملاحو الغواصة من الاعداء الذين ينتظرون وصولها لتبديلهم مكان ملاحيها الاصليين والغوص إلى بلاد الاعداء. اوقف

ماجد سيارته على مبعدة.. وظهر له المنزل على البعد باضواء شاحبة بطوابقه الأربعة ومساحته المترامية الاطراف التي تشغل اكثر من فدانين.. وبدت اشباح عديدة خلف زجاج النوافذ المضاءة.

وكانت هناك خريطة اخرى تحدد تفاصيل المنزل من الداخل بدقة.. وكان « جاك بريموس » يشغل حجرة صغيرة بالطابق الثاني مع زميل له يدعى يعقوب، وقد قضى الاثنان فترة تدريب طويلة باحدى الدول الاوروبية للتدريب على قيادة الغواصات النووية. وكان على ماجد ان يستدرج « جاك » خارج حجرته بأي وسيلة، أو أن يتخلص منه ويحل محله قبل الصباح ويخفيه في مكان خاص تم الاتفاق عليه من قبل، ليسهل لعملاء القسم الخارجي التخلص منه فيما بعد.

اغلق ماجد ابواب سيارته، واقترب محاذرا من اسوار المنزل الكبير. ولمح على ضوء لمبة شاحبة في مدخله عدداً من الحراس وهم يحومون بكلابهم البوليسية الضخمة من فصيلة « البوكسر ». توقف ماجد قلقا.. كان وجود الكلاب يزعجه ولا بد أنها ستنبح بشدة إذا حاول الاقتراب من أسوار المنزل المشيدة من الاسمنت المسلح كأنها قلعة حصينة.

وعلى البعد لمح عدة اشباح للحراس يدورون حول الاسوار بكلابهم في دوريات لا تنقطع. تضاعف توتر ماجد.. كانت الحراسة شديدة، عليه أن يبحث عن وسيلة لدخول المنزل بدون اثارة أي ريبة.

وفي تلك اللحظة اقترب منه رجل رث الثياب بذقن نابتة وملامح مغضنة ومعطف كالح ممزق في اكثر من موضع وهو ممسك بزجاجة خمر فارغة.

ومد الرجل يده إلى ماجد وهو يترنح قائلا : انني بحاجة إلى زجاجة نبيذ يا سيدي.. إن كثيرين من قبلك ساعدوني بزجاجة نبيذ دافئة فأرسلتهم إلى الجنة بدعواتي الصالحة.. ولسوف الحق بك هناك بعد ان اشرب النبيذ ! في هذه اللحظة لمعت الفكرة في عيني ماجد وهتف في الرجل : حسناً أيها السكير.. ان الخمر ومن يحتسونها يكون مكانهم عادة جهنم وليست الجنة، ولسوف أرسلك إليها فورا.

نطق الرجل مندهشا بدون أن يفهم شيئا : ماذا تقول يا سيدي ؟

ـــ ألا تريد حسنة ؟

ـــ خمسون دولارا فقط يا سيدي فقد ارتفعت اسعار النبيذ هذه الايام !!

ـــ حسنا.. هذا ما أستطيع أن اقدمه لك إذ أنني لا أملك دولارات. وهوى ماجد بقبضته فوق رأس السكير، فترنح الرجل فاقداً الوعي وسقط بين ذراعي ماجد.

اسرع ماجد نحو سيارة نقل كبيرة تقف على مقربة وفتح بابها، ثم دس الرجل في مقعد سائقها، واخرج ماجد من جيبه مفتاحا

الكترونيا دسه في « كونتاكت » السيارة، وأداره فهدرت محركات السيارة مبددة سكون المكان.

غمغم السكير بكلمات لا معنى لها، واخذ يترنم باغنية سويدية شائعة عن محبوبته التي تنتظره بجوار المدفأة والاوقات السعيدة التي تنتظره هناك ! قال ماجد باسما : لسوف ارسلك إليها حالا فلا تتعجل الدفء.. فلسوف تنال منه ما يشعل ناراً في عظامك.

وضغط ماجد فوق دواسة البنزين وهو يقول للسكير : إلى الجنة يا صديقي. وانطلقت السيارة هادرة تشق الطريق للأمام بسرعة بالغة..

وقفز ماجد من باب السيارة المفتوح والسيارة تواصل اندفاعها الرهيب كأنها جبل متحرك نحو ابواب المنزل، والسكير بداخلها لا يزال يترنم بمعشوقته التي هي في مثل جمال « فينوس » وشعرها بلون سنابل القمح، وصوتها الذي هو كتغريد طيور الربيع والجنة الموعودة التي تنتظرهما سويا ! وفجأة تنبه السكير وأسوار المنزل تقترب منه بسرعة بالغة.. وجحظت عينا الرجل وطارت الخمر من رأسه.

ولم يكن هناك وقت ليفعل اي شيء.. ولا حتى الصراخ. واصطدمت مقدمة السيارة بأسوار المنزل بصوت داوٍ شق سكون الليل.

وعلى الفور تعالى نباح الكلاب، واندفع الحراس نحو السيارة

المحطمة وقد أشهروا مسدساتهم، وقفزت الكلاب نحو السيارة المحطمة وهي تعوي عواء رهيبا.

فتح السكير الباب ذاهلا.. كان اصطدام السيارة قد اصابه في جبهته فسالت منها الدماء وتحطم ذراعه، وما كاد يطل خارج السيارة وشاهد الحراس الشاهرين مسدساتهم ونباح الكلاب المجنون حتى غمغم ذاهلا : يبدو انني اخطأت الطريق إلى الجنة.. هذه لا يمكن أن تكون إلا جهنم !

صرخ احد الحراس : ايها السائق السكير.. لقد حطمت السور. واندفعت الكلاب نحو السكير واخذت تعضه والمسكين يصرخ متألما في ذعر شديد، وانهال الحراس عليه ضربا ولكما.

وصرخ السكير مستنجدا : انني بريء.. انني لست سائق هذه السيارة ولا أعرف عنها شيئا.

توقف الحراس مندهشين، وسأله قائدهم : وما الذي دعاك إلى ركوبها والاصطدام بالسور ؟

رفع السكير يده إلى السماء كأنه يصلي قائلا : لقد أتى ملاك من السماء طلبت منه خمسين دولارا لشراء زجاجة نبيذ لدخول الجنة فقال انه سيرسلني إليها بلا نبيذ !

صاح قائد الحراس: انه يهذي فهو سكير.

وامسك بزجاجة الخمر الفارغة بجوار السكير وحطمها فوق رأسه

قائلا : هذا كفيل بإرسالك إلى جهنم الحقيقية، فالجنة ليست لامثالك !

تهاوى السكير فاقد الوعي، واشار قائد الحراس إلى رجاله قائلا : قودوا هذه الشاحنة بعيدا والقوا هذا السكير الغبي في اقرب مقلب قمامة، وابعدوا السيارة عن هذا المكان.

اسرع الحراس ينفذون اوامر قائدهم وقد سادهم المرح لما حدث، فقد بدَّد ذلك شيئا من مللهم واحساسهم بالبرد الشديد.

شاهد ماجد كل ما حدث في مكان بعيد، وانتهز فرصة انشغال الحراس بالحادث والسكير وهرعهم إلى مكان السيارة وتركهم لبقية السور بلا حراسة، فأسرع يتسلقه من نقطة بعيدة وقفز إلى قلب الحديقة الواسعة التي تحيط بالمنزل. كانت الحراسة بداخل الحديقة منعدمة، وسار ماجد بحذر تجاه المنزل يتوسط الحديقة محتميا بالظلام الذي يسود المكان.

كانت الساعة تقترب من التاسعة مساء، وقدر ماجد أن قاطني المنزل لا بد وان يناموا مبكرين للمهمة التي تنتظرهم باكرا.

كانت ابواب المنزل موصدة، وكانت جميع نوافذه مغلقة كذلك لشدة البرد، وأي محاولة للدخول منها ستجذب انظار الحراس خارج الاسوار لوقوعه في مرمى بصرهم.

تسلق ماجد المواسير في خلفية المنزل بخفة حتى وصل إلى

السطح، وكان من القرميد الأحمر. فزحف فوقه بحذر حتى وصل إلى منتصفه فشاهد مُنْوَراً واسعاً يمتد منه عدد من المواسير التي تمد الحجرات بالماء. تسلق ماجد المواسير هابطا لاسفل، وتوقف امام نافذة احد الحمامات بالطابق الثاني. وبآلة صغيرة حادة فتحها بلا صوت وقفز داخل الحمام.. وهكذا صار في قلب المنزل فاغلق نافذة الحمام ثانية وغادره خارجا منه. سار ماجد محاذرا في الطابق الثاني.. كانت الخريطة الدقيقة التي اعدها عملاء القسم الخارجي تحدد مكان حجرة جاك بالرقم(٣٨) وترسم الطريق إليها.. وكان هناك ضوء قليل ينير الردهات الساكنة. وسمع ماجد اصوات خطوات قادمة فاسرع يختفي وراء احد الحوائط. وظهر أحد الضباط في ملابس النوم متجها نحو الحمام فهدأ ماجد واتجه بخطوات سريعة إلى نهاية الممر.. وتوقف امام الحجرة رقم(٣٨) وادار مقبضها ببطء فوجدها مغلقة من الداخل.

اخرج ماجد « الماستركي » واداره في فتحة الباب.. وبعد لحظة سمع تكة فأدار المفتاح السحري وانفتح الباب بيسر.

كانت الحجرة مظلمة فتوقف ماجد لحظة حتى اعتادت عيناه الظلام، وشاهد بداخلها فراشين صغيرين قد رقد شخصان فوقهما.. وكان هناك دولابان صغيران ومنضدة متوسطة في ركن الحجرة.

اقترب ماجد محاذرا من النائمين، وميز في احدهما جاك.. وحدق ماجد في ملامح الضابط النائم أمامه فبدا كأنه يشاهد صورة اخرى منه في المرآة. اخرج ماجد من جيبه قنبلة صغيرة قربها من انف

جاك.. وتململ جاك لحظة وتحركت اطرافه ثم سكن جسده وقد اثّر فيه المخدر القوي. حمل ماجد جسد الضابط وبدل ملابسه بملابس جاك، واتجه خارجا به من الحجرة.

وفي نهاية الممر حجرة ضيقة تستعمل كمخزن للاشياء مغلقة منذ فترة طويلة، وكان مكانها واضحا فوق الخريطة بعلامة حمراء صغيرة. فتح ماجد باب الحجرة « بالماستركي »، وطالعته العتمة واشباح الاثاث الملقى في اهمال، وقام ماجد بتكميم فم وربط ذراعي وقدمي « جاك » ثم مدده خلف بعض الارائك. وكان واثقاً أن عملاء القسم الخارجي سوف يحصلون على الضابط بعد أن يغادر ملاحو الغواصة المنزل في الغد.

اغلق ماجد الحجرة خلفه وعاد ادراجه إلى الحجرة رقم (٣٨)، وما كاد يفتح بابها حتى فاجأه صوت من الداخل يقول : اهذا انت يا جاك ؟

تنفس ماجد بعمق.. كان عليه منذ تلك اللحظة أن يكون هو « جاك بريموس » بآلاف التفاصيل الدقيقة عنه.. وكان يعلم تماما أن أي خطأ صغير قد يعني حياته.

اجاب ماجد بهدوء وبلكنة « جاك » التي ينطق بها بالانجليزية قائلا : انني هو يا « يعقوب ».. لقد ذهبت إلى الحمام.

اطل « يعقوب » من تحت غطائه وأثار النعاس في عينيه، واهتز شاربه الكبير وهو يقول : قلت لك ألا تشرب كثيرا من البيرة.

ـ انت تعلم انني لا أستطيع النوم قبل شرب عدة اقداح منها. تثاءب « يعقوب » وهو يتقلب فوق فراشه قائلا: حسنا لنخلد إلى النوم فإن امامنا عملا شاقا سيبدأ من الفجر.

وأخفى « يعقوب » وجهه اسفل غطائه، وابتسم ماجد وقد سرى شيء من الطمأنينة في دمائه.. لقد نجح في اول اختبار بشخصيته الجديدة. وكانت اهم المعلومات التي حصل عليها قسم العمليات الخارجية عن « جاك » بريموس » تقول انه من أصل سويدي ويتحدث الانجليزية بلكنة خاصة شأن من يتعلمونها من أهل الشمال في مدارسهم، كما كان اعزب لا أسرة له ويشرب البيرة بكثرة، حتى يكاد يفقد وعيه.. بالاضافة الى ميله الشديد للدخول في مشاجرات صاخبة حالما تؤثر فيه البيرة، كما انه ملاكم قوي.. أما قدمه اليسرى فأصيب فيها بكسر قديم اثناء احدى المشاجرات التي اندفع فيها ضد عشرة اشخاص على الاقل في « نيودلهي » عندما سب أحد البوذيين الهنود فكانت مشاجرة رهيبة خرج منها بتلك الاصابة. كما أن الرؤساء رفضوا احالته للتقاعد بسبب مهارته وحاجتهم إليه في قيادة الغواصة الجديدة. ابتسم ماجد في الظلام، فجاك شخصية عجيبة.. وكان عليه أن يكونها بكل تفاصيلها.

تمدد ماجد في الفراش الدافئ.. كان عليه أن ينام على الفور، فأمامه عملٍ شاق بالفعل في الغد، كما قال زميله في الحجرة، ولكنه عملٌ لا يمكن أن يتخيله « يعقوب » على الاطلاق، والا لشاب شعر شاربه الاشقر وتحول إلى لون الثلج!

« في قلب السمكة المتوحشة »

في الخامسة فجرا دوى نفير داخلي، وعلى الفور دب النشاط في المبنى العريض.. وخلال خمس عشرة دقيقة بالضبط كان الضباط والبحارة يصطفون خارج المبنى بملابسهم الملاحية وقد انتظموا في خمسة صفوف طويلة.. الضباط في الامام والبحارة خلفهم.

ووقف كابتن الغواصة « زاكي سيداس » يتفحص رجاله بنظرة ضيقة متجهمة من عينيه اللتين تشبهان عيني ذئب اعتاد السلب والخداع. كانت له قامة طويلة ووجه حاد قاسي الملامح وشفتان غليظتان متشققتان بلون قاتم، والخدان قد انتشر فيهما آثار جروح قديمة. وكان كما قرأ ماجد عنه في الملف الخاص به الذي اطلع عليه في مقر ادارة فرع العمليات الخارجية، كان إلى وقت قريب احد المرتزقة الذين حاربوا في فيتنام السلفادور ثم انضم إلى الاعداء في سلك البحرية، وأهلته وحشيته وخبرته السابقة الى التدرج بالقوات البحرية للعدو حتى رتبة عالية، وتم ايفاده بعدها في بعثة سرية لقيادة الغواصات الذرية انهاها بنجاح.

اما مواصفاته الشخصية فهي أنه « يميل للعنف الشديد بلا رحمة حتى مع جنوده وبحارته وضباطه، قاسٍ لا يعرف التردد أو الخوف، يُقال انه قتل عشرين امرأة وطفلاً في امريكا الجنوبية بنفسه في احدى القرى انتقاما من إلقاء احد الأطفال حجراً صغيراً عليه ».

تقدم الكابتن يفحص رجاله بعيون كالصقر.. واقترب من ماجد وهو يدقق فيه بعينيه الذئبيتين.. ولكن ماجد لم يطرف له جفن ووقف منتصبا بلا حراك. حدق الكابتن « زاكي » في ماجد لحظة ثم تجاوزه.. وأخيراً أنهى فحص رجاله وتوقف أمامهم غير مبالٍ بالرياح الباردة العاصفة التي كانت تهب على المكان. وقال الكابتن بصوت جهوري خشن : لقد حانت اللحظة أيها الرجال.. حانت اللحظة التي انتظرناها طويلا.. القوة الرهيبة.. القوة المدمرة.. سوف تمتلكها بلادنا فتصير هي الاعظم والأقوى.. وسنكون نحن مالكي هذه القوة ورجالها.. سنكون نحن من ضمن هؤلاء القلائل الذين يسيطرون على هذا العالم الواسع الغبي، فالويل للضعفاء والغافلين والنصر لنا ولبلادنا. هتف الضباط والبحارة بصوت داوٍ : « النصر لنا ولبلادنا ». وكرروا العبارة ثلاث مرات، ولكن ماجد ظل صامتا لا ينطق وقد اعتراه غضب جاهد في كتمانه.

والتفت « يعقوب » إلى ماجد متسائلا بدهشة : لماذا لم تردد التحية وتمنيات النصر لبلادنا ؟

اجابه ماجد : انني مصاب ببرد يؤلم حلقي.

ضحك يعقوب قائلا : لا بد أن بيرة الأمس كانت مغشوشة !

واقبلت سيارتا اتوبيس كبيرتان استقلهما الجميع فانطلقت بهم تتجاوز اسوار المنزل خارجة تجاه الميناء فوصلته بعد ربع ساعة.

كان الميناء لا يزال ناعسا.. فلا حركة أو حياة في المكان، وأدرك ماجد أن المسئولين عن العملية اختاروا ذلك التوقيت المبكر كي لا يشك احد بما يجري في سرية تامة. وكانت هناك سفينة صغيرة في ركن قصي في الميناء استقلها الجميع فانطلقت بهم مبحرة في قلب بحر الشمال.

قال ماجد « ليعقوب » : كنت اظن اننا سنستقل الغواصة قريبا من الشاطئ.

رد « يعقوب » : لا طبعا.. ان ظهور غواصتنا قريبا من الشاطئ سيلفت الانظار ويكشف العملية كلها، هذا بالاضافة إلى أن موقف حكومة « السويد » الرسمي منع دخول الغواصات النووية إلى شواطئها، ولولا الضغوط التي مارستها بلادنا عليها ما وافقت على استضافتها للعملية، وان كانت اشترطت أن تتم العملية خارج مياهها الاقليمية.

وساد الصمت والسفينة تشق صفحة البحر بأقصى سرعتها والظلام الدامس لا يزال يطبق على انفاس الفجر.

واستمر الابحار بالسفينة ما يقارب الساعة قطعت خلالها مسافة

اربعين كيلومترا، وبدأت خيوط الفجر تظهر في السماء فتنير سوادها الكاحل بأشعة بيضاء باسمة.

خفت سرعة السفينة حتى هدأت تماما، وقال « يعقوب » : الآن صرنا خارج المياه الاقليمية السويدية.. ستظهر سمكتنا المتوحشة حالا ! وساد الصمت على الواقفين بالسفينة وهو يرقبون صفحة الماء ولا يدرون من أي جهة ستظهر الغواصة. همس يعقوب لماجد : انني ارتعش لفرط الاثارة. حانت من ماجد لفتة إلى الكابتن « زاكي » قائد الغواصة فشاهده واقفا في مقدمة السفينة وقد زم شفتيه بقسوة شديدة وجمدت عيناه على صفحة الماء لا ترمشان، كأنه صنم من الصخر.

وفجأة تعالى صوت هدير ضخم.. اشبه بصوت شلال متدفق.. وإلى اليسار على مسافة اقل من خمسين مترا ظهرت زعنفة كبيرة من الصلب، لها ما يشبه جناحين صغيرين على جانبيها يعلو فوقها عدة انابيب ومواسير. وراحت الزعنفة تعلو عن سطح الماء وصوت الهدير يتعالى.. واخيراً ظهر بدن الغواصة ضخما رهيبا كأنه جبل غائص في الماء اخرجته قوى مجهولة. علا هتاف البحارة والضباط يشق عنان السماء.. وتأمل ماجد بدن الغواصة الرهيب.. كان طولها يصل إلى اكثر من ستمائة متر وعرضها يزيد عن الخمسين مترا في منتصفها.. وكانت مطلية من الخارج باللون الازرق الذي يشبه لون مياه المحيط.. وكانت تبدو في جملتها وهي راقدة على صفحة

الماء كأنها وحش خرافي رهيب تتضاءل بجواره أعتى الاسلحة والوحوش. وزأر الكابتن « زكي » بصوت قاسٍ متهدج: ماذا تنتظرون أيها الاغبياء.. اعدوا الزوارق المطاطية.

على الفور اندفعت مجموعة من البحارة إلى ركن السفينة وكشفوا عدداً من الصناديق كان بداخلها زوارق مطاطية فارغة، ما ان انتزعوا سداداتها حتى امتلأت بالهواء.. واسرع البحارة يلقون بالزوارق إلى الماء ويقفزون إليها ويجدفون إلى الغواصة.. وعندما وصلوا إليها وقفزوا إلى سطحها كانوا أشبه ببراغيث الماء التي تتقافز فوق حوت عملاق.

وأسرع الضباط أيضاً يستقلون زوارقهم المطاطية إلى الغواصة.. وانتظم البحارة والضباط فوق سطحها وخرج من جوف الغواصة بحارتها وضباطها وقائدها الذي صافح الكابتن « زاكي » وهو يقول له : ها قد حصلتم على وحشكم الخرافي فاحسنوا استخدامه لمصلحتكم.

رد « زاكي » بجفاء : اننا ادرى بمصلحتنا.

والتفت إلى رجاله هاتفا : هيا يا رجال.. كل إلى موقعه داخل الغواصة. على الفور اندفع الضباط والبحارة داخلين إلى جوف الغواصة من فتحتها الامامية قرب مقدمتها، والتفت « زاكي » إلى القائد وبحارته قائلا بسخرية : أمامكم ثلاث دقائق لتستقلوا السفينة وتبتعدوا بها عن هذا المكان، والا فإن سمكتنا المتوحشة قد يغضبها ابطاؤكم.

واندفع إلى قلب الغواصة واغلق فتحتها، وقال قائد الغواصة بغضب : هذا المجنون الاحمق.. ألم يكفه ما ارتكب من جرائم وحشية حتى يدفعوا إليه بهذه الغواصة الذرية الرهيبة ليكون قائدها. انه قد يشعل بها نيران الحرب العالمية الثالثة.

وما كاد القائد يتم عبارته حتى اهتزت الغواصة من تحته وبدأت تغوص في الماء.. وصرخ القائد بانزعاج : اقفزوا إلى زوارق النجاة بسرعة.. هذا الكابتن غبي مجنون.

وأسرع البحارة والضباط فقفزوا إلى الماء البارد كالثلج وهم يرتجفون. وفي قلب الغواصة كان الكابتن « زاكي » يراقب ما يحدث في الخارج من خلال المئفاق وبدت عليه سعادة شديدة، والتفت إلى مساعده وهو يخبط بدن الغواصة بعيون تلمع ببريق مخيف قائلا : الان صرنا احدى القوى العظمى في العالم.. فلا يحق لأحد توجيهنا.. حتى لو كانوا من اعطونا هذا الوحش الجميل !

واخذ يقهقه بسعادة ثم التفت إلى مساعده قائلا: والان نادِ في الميكرفون الداخلي على جميع الاقسام واطمئن إلى انتظام الجميع في اماكنهم واعمالهم .

ـــ امرك يا سيدي.

وعلى الفور شرع المساعد في الاطمئنان إلى حُسن سير العمل داخل الغواصة. كانت الغواصة تنقسم إلى عدة اجزاء.. ففي مؤخرتها تقبع زعنفة التوجيه الخلفية وورائها المروحة.. وإلى الامام غرفة

المحركات يليها غرفة التحكم بالمحركات والمفاعل، وبجوارها غرفة المفاعل النووي ثم غرفة القذائف في منتصف بدن الغواصة، وهي الغرفة التي تحتوي على القذائف النووية ويستحيل دخولها مع المفاعل النووي من خلال ابوابها الالكترونية إلا ببطاقات خاصة ممغنطة.. وأما القسم الأيسر من الغواصة ففي مقدمته غرفة الطوربيد يليها المطبخ وقسم اقامة البحارة، يعلوه قسم اقامة الضباط، وفي قمة الغواصة اسفل الزعنفة العليا تقع غرفة القيادة.

وكان عمل ماجد ــ باعتباره « جاك بريموس » ــ كونه احد الضباط، بغرفة التحكم، وهي الغرفة التي تقع خلف المفاعل النووي مباشرة ويطلق عليها ايضا « غرفة العمليات » ولها مهام عديدة. ففيها تتجمع كل المعلومات التي تعتمد عليها الغواصة في سيرها وغوصها في الاعماق، وهي تحدد مكان الغواصة بالضبط من خلال حاسباتها الالية، وبها من اجهزة الاستماع والالتقاط ما يمكنها من التقاط أصوات الاسماك الصغيرة التي تسبح حولها، والتقاط اصوات السفن والغواصات على بُعد عشرات الكيلومترات.. كما انها تتحكم في اطلاق كافة اسلحة الغواصة.. وبداخلها اجهزة تقيس مستويات الاشعاع النووي بالابلاغ عن أي تسرب إشعاعي على الفور لمعالجته، وفيها ايضا يتم التحكم بقدرة المفاعل النووي وتشغيله.

وكان وجود ماجد في حجرة العمليات يمثل تيسيرا كبيرا في مهمته، ويسهّل عليه اعطاب الغواصة في الوقت المناسب بأي وسيلة.

كان ماجد مسئولا عن مراقبة اداء المفاعل النووي والتحكم في طاقته، و كانت امامه شاشات الكترونية صغيرة امتلأت بمفاتيح صغيرة وحاسبات آلية ذات مهارة فائقة راح ماجد يتعامل معها كما لو كان قد عمل عليها سنوات طويلة من قبل.

وعلى يمينه جلس « يعقوب » يتابع عمله في متابعة اجهزة التنصت خارج الغواصة، والتي تشي بكل الاصوات التي تدور حولها على بعد كيلومترات بعيدة مهما كانت ضآلتها.

والتفت « يعقوب » إلى ماجد باسما وهو يقول : ستكون رحلة موفقة إلى بلادنا. رد ماجد باسماً : ستكون موفقة أكثر مما يظن أي شخص اخر. وارتسمت فوق وجهه ابتسامة غامضة.. فالوحيد الذي يستطيع تفسيرها يجلس هناك.. على بعد آلاف الاميال.. داخل رئاسة فرع العمليات الخارجية.. وكان يدعى اختصاراً السيد « م » !!

* * *

« انكشاف »

قال مدير الشرطة للضابط : ألا تتذكر ملامح ذلك الرجل ؟ قال الضابط وهو يتحسس رقبته في موضع الضربة المؤلمة التي ارقدته في غيبوبة نصف يوم : لقد كان طويلا ببشرة وردية بها بعض النمش وانف صغير وعينان زرقاوان.. كما أن له يدين قويتين جداً يا سيدي. قال مدير الشرطة بقلق : ان لدينا متسولا قبضنا عليه أمس وكان يهذي عن « ملاك » وضعه في سيارة نقل حطم بها سور منزل ال.. ولم يكمل مدير الشرطة عبارته وضاقت عيناه اكثر وهو يقول : ان نفس الاوصاف التي أدلى بها السكير عن هذا « الملاك » تنطبق على اوصاف ذلك الرجل الذي اعتدى عليك.. فهل ثمة علاقة بينهما، وهل هو نفس الرجل ؟

وفجأة هب واقفا وهو يقول : يا إلهي.. لا شك أن ذلك الرجل عميل لمخابرات احدى الدول وأراد التسلل إلى المنزل الذي كان يقيم به افراد الغواصة، واضطر لاختلاق تلك الحادثة بتحطيم السور باستخدام ذلك السكير وانتهز الفرصة متسللا إلى داخل المنزل والقيام

بعمل ما. ونظر إلى الضابط وأكمل : ولا شك أنه اعتدى عليك لأنه لا يملك اوراقاً يقدمها لك وحتى لا يكشف شخصيته.

تساءل الضابط بقلق : وما العمل يا سيدي ؟

ـ الاتصال فوراً بالقيادة واخبارها بما جرى.. ان هناك ما يوحي بان أفعالا غير عادية ستحدث داخل الغواصة الملعونة.

وبغضب اشد اضاف : لطالما نصحت المسئولين هنا أن يتعدوا عن هذه المسألة وألا يتورطوا فيها.. وها هي قد صدقت ظنوني. واندفع الى جهاز تليفون خاص يتصل بوزير الداخلية.

كانت الرسالة العاجلة التي وصلت إلى السيد « م » ببرقية شفرية تقول : اكتشفت الشرطة السويدية أن هناك عملا تخريبيا سيجري داخل الغواصة « السمكة المتوحشة » عن طريق عدة دلائل، وهم يعتقدون أن احد ضباط الغواصة تم ابداله بآخر تابع لدولة عربية، وان كانوا لم يحددوا شخصيته بالضبط.. وقد تخلصنا من « جاك بريموس » وكذلك السيارة الصغيرة.

انتهت الرسالة.. وارتسم الوجوم الشديد على وجه السيد « م ».. كانت تلك اسوأ أنباء يتوقع سماعها.. فقد كانت تعني أن افضل عميل في الجهاز بالكامل قد انكشف امره أو كاد.. وأن مسألة العثور والقبض عليه هي مسألة ساعات قلائل فقط.. ووقتها لن تكون له فرصة في النجاة وسط مائة من الاعداء يحاصرونه من كل اتجاه داخل الغواصة.

زأر « زاكي سيداس » كابتن الغواصة وهو يقول لمساعده : ماذا تقول ايها الغبي ؟

قال المساعد بقلق شديد : هذا هو مضمون الرسالة التي تلقيتها تواً من الشرطة السويدية.. انهم يقولون إن لديهم شكوكا أن أحد ضباط الغواصة قد تم ابداله بآخر للقيام بعملية تخريبية داخل الغواصة.

هتف « زاكي » بغضب : هذا غير ممكن.. مستحيل.. لقد كانت الحراسة على اشدها.

ــ انهم واثقون مما يقولون يا سيدي.. وها هي اوصاف الضابط.

ألقى « زاكي » نظرة إلى الورقة التي قدمها له مساعده وغمغم قائلا : إن هناك عشرة ضباط تنطبق عليهم هذه الاوصاف تقريبا، ولن يمكننا اكتشاف ذلك الضابط فلا بد انه قام بتغيير ملامحه ليكون مشابها تماما للآخر الذي حل محله.. وسوف تثير ذعراً شديداً في الغواصة إذا ما أخبرنا الجميع بما حدث.

ــ وما العمل يا سيدي ؟

اغمض الكابتن « زاكي » عينيه ثم فتحها وكان يلمع فيها بريق غريب متوحش وقال : استدعي لي بحارتي العشرة.

تساءل المساعد بدهشة : اي بحارة يا سيدي ؟

هتف الكابتن بغضب جامح : ألا تدري أي بحارة أيها الغبي.. انهم رفاقي الذين قاتلوا معي من قبل واحرزنا سويا انتصارات

عظيمة.. انهم ابطال رهيبون لا يعرف الخوف طريقه إلى قلوبهم، والقتل لديهم أسهل من التهام الطعام.. واصرف لكل منهم مدفعا رشاشا سريع الطلقات وآتيني بهم في الحال.

وأكمل بصوت رهيب : لسوف امسك هذا المجنون الذي تسلل إلى غواصتنا قبل أن تشرق شمس الغد.. ولسوف يكون انتقامي منه رهيبا عندما نرسل جثته في طرد إلى من بعثوه إلى هذا المكان.

وانطلق يضحك في ضحكة داوية متوحشة رهيبة.

* * *

« تخريب.. لا قيمة له ! »

أخذ الوقت يمر.. وكان ماجد يدرك أن عليه ألا يضيع أي دقيقة لأن كل لحظة تمر تكون في صالح اعدائه لا في صالحه.. وكان يعلم تماما أن الوقت الباقي لوصول الغواصة إلى بلاد الاعداء لا يزيد عن اربع وعشرين ساعة.. وخلال هذه الساعات كان عليه التخلص من الغواصة وملاحيها.

وكان عليه في البداية أن يقوم بمحاولة أولية لاستكشاف الغواصة وتحصيناتها. قام ماجد بالعبث في احد الازرار الحساسة في اللوحة الالكترونية امامه، وبعد قليل أصاب العطل اللوحة كلها فهتف ماجد بصوت غاضب عالٍ : اللعنة على هذه الأجهزة. انها لم تكد تبدأ التشغيل بعد حتى تتعطل. اقترب رئيس غرفة العمليات من ماجد مندهشا وهو يقول : ماذا حدث أيها الضابط ؟

ــ هذه اللوحة الالكترونية يا سيدي.. ان شاشتها لا تستجيب عندما أضغط على ازرارها وتظل بيضاء خالية.. اشك انها قد تعطلت. اخذ الرئيس يفحص الجهاز والازرار مندهشا ثم قال : انها مُعطلة



بالفعل.. هذا عجيب جداً فقد تم اختبار كل جزء في الغواصة واعطى نتائج ايجابية، سوف نضطر على ترك هذا الجهاز على حاله لحين وصولنا إلى بلادنا واصلاحه هناك.

ــ انه عطل في جهاز حساس يا سيدي.. فهذا الجهاز يقيس درجة حرارة المفاعل النووي وهل تسير بمعدلاتها الطبيعية لتبريدها أم لا وأي خطأ فيه قد يسبب كارثة.

ــ وما العمل الان ؟

ــ سأفحص جهاز التبريد بنفسي فلعل العطب هناك وليس في الاجهزة الالكترونية.

قال الرئيس بقلق معترضا : ولكن دواعي الامن تقتضي حظر دخول غرفة التحكم إلا للعاملين فيها.

ــ اننا مضطرون إلى ذلك يا سيدي.. والا فقد ترتفع درجة حرارة المفاعل بدون أن ندري.

فكر الرئيس لحظة ثم قال : سأعطيك تصريحا بدخول غرفة التحكم. وابرز الرئيس بطاقة مغناطيسية إلى ماجد فشكره واتجه خارجا من غرفة العمليات.. وكانت غرفة التحكم بالمحركات والمفاعل تقع في النصف الآخر من الغواصة، وما كاد ماجد يخرج من حجرة العمليات حتى فوجئ بمدفع رشاش مصوب إلى صدره وأحد البحارة ممن تبدو الشراسة والاجرام على وجهه وهو يقول بصوت خشن : إلى أين أنت ذاهب أيها الضابط ؟

اندهش ماجد للحظة فلم يكن يعرف ما يجري بالغواصة، وعلى الفور اخفى دهشته وتصنع الغضب قائلا : ماذا تفعل أيها البحار.. هل هي محاولة للاستيلاء على الغواصة والتمرد على الكابتن « زاكي » ! تساءل ماجد بدهشة : هل أمر الكابتن البحارة باعتراض الضباط ؟

— ليس كلنا. قالها البحار بلا مبالاة وبصق على الارض !

— وما السبب في ذلك ؟

حملق البحار في ماجد بعيون ضيقة، وابتسم ابتسامة ساخرة كشفت عن اسنانه القبيحة المشوهة وهو يقول : إن الاوامر التي لدينا هي أن نوجه نحن الأسئلة لا أن نجيب عليها.. هيا أرني بطاقتك وتصريح المرور.

ابرز ماجد في صمت بطاقة « جاك » التي استولى عليها من دولابه بعد أن تخلص منه، ومدها إلى البحار الذي اخذ يتفحصها حتى يتأكد من أنها صحيحة، ويقارن بين الصورة المثبتة عليها بغلاف بلاستيكي وبين وجه ماجد.

ومد البحار يده يتحسس وجه ماجد فقال له ماجد ساخرا : اتظن انني ارتدي قناعا فوق وجهي ؟

رد البحار بخشونة : من يدري.. إن كل شيء جائز في هذا العالم.. هيا أرني تصريح المرور.

ابرز ماجد للبحار تصريح المرور وهو يقول متصنعا غضبا

شديدا : سوف اشكو ذلك للمسئولين عندما نصل إلى بلادنا.

رد البحار ساخرا : هذه هي اوامر المسئولين فكف عن الشكوى وإلا فان الأوامر التي لدينا تعطيني الحق أن اوجه هذا الرشاش بأي اتجاه.. وأطلقه على أي شخص يعترضنا !

وتناول التصريح الالكتروني والقى عليه نظرة متفحصة وتأكد من صحته.. وأخيراً سمح لماجد بالمرور.

سار ماجد في الممر المؤدي إلى غرفة التحكم بالمحركات والمفاعل وقد عصفت به افكار كثيرة.. هل انكشف وجوده داخل الغواصة، هل عثرت الشرطة السويدية على « جاك بريموس » قبل أن يخفيه رجال « م » ومن ثم ابلغوا الكابتن « زاكي » بما حدث ؟

ولكن لو كان ذلك قد حدث فعلاً لعرف « زاكي » على الفور أنه شخص مزيف ولقبض عليه في الحال.. اما اطلاق الكابتن للبحارة لتأمين الغواصة وحراستها من الداخل فهو يعني أنه يشك في أن أحد الضباط قد تم تبديله بآخر لتخريب الغواصة، ولكنه ليس متأكداً من شخصية هذا الضابط.

تأكد ماجد من حرج موقفه، وكان عليه أن ينهي مهمته بأسرع ما يمكن، فاحتمال كشفه أصبح قريبا ما دامت الشكوك قد باتت تهدد بكشف العملية.

وامام غرفة التحكم كان هناك بحار اخر لا يقل غلظة عن

الاول، ومد إليه ماجد بتصريح الدخول وبطاقة تحقيق الشخصية فتأملها البحار متفحصا، ثم سمح لماجد بالمرور.

وضع ماجد تصريح المرور في فتحة ضيقة بالباب الصلب، وعلى الفور انزاح الباب كاشفا عن الغرفة الواسعة بالداخل.

كانت الحجرة عريضة لا يقل طولها عن خمسة عشر مترا وعرضها عشرة امتار، وكانت تمتد فيها أنابيب طويلة وعرضية في سقفها، وكان بعضها يأتي من غرفة المحركات يحمل الماء البارد والمكثفات حيث يتجه الماء البارد والمكثف إلى مبادل الحرارة في حجرة المفاعل النووي، وفيه يتم تبريد درجة حرارة الاشتعال النووي وتخفيضه كما هو متبع في مفاعلات الماء المضغوط.

وكان هناك عدد من المهندسين والعاملين بالحجرة وقد انشغل كل منهم في عمل ما، وكانت هناك بعض الحاسبات الالكترونية والأجهزة الدقيقة في اركان الحجرة.

اقترب ماجد من حاسب صغير يقيس درجة الحرارة واخذ يتفحصه، واقترب منه من الخلف احد الضباط متسائلا: وما الذي تفعله أيها الضابط ؟

رد ماجد : لقد اصاب عطب جهاز قراءة درجات الحرارة في المفاعل بغرفة العمليات واريد الاطمئنان إلى سلامة التوصيات.

هز الضابط رأسه وابتعد، وعاد ماجد يعبث بالأزرار امامه بطريقة

خاصة وأسقط قطعة رقيقة من المعدن في فتحة صغيرة بها، وعلى الفور تعطل الجهاز وارتسمت خطوط طويلة وعريضة فوق شاشة الجهاز لا معنى لها. وامتدت اصابع ماجد في خفية نحو احد منظمات درجات الحرارة ومفاتيحها واخذ يعبث بها بدون أن يراه أحد.. كان لا يدري أي تأثير لما يفعله، ولكنه كان مطمئنا إلى أنه أيا كانت النتيجة فإن أحداً لن يكتشفها بسبب تعطل اجهزة قياس الحرارة.

وهتف ماجد متصنعا الغضب من جهاز قياس الحرارة : إن هذا الجهاز معطل ايضا.. إن هذا عجيب.

اقترب العاملون من الجهاز الذي اصابه الجنون فراح يرسم على صفحته اشكالا غريبة، وتساءل احدهم بدهشة : ان الجهاز يبدو كما لو كان قد اصيب بالجنون، ما الذي فعل به ذلك ؟

ماجد : يبدو أن بعض دوائره المغناطيسية قد احترقت.. هذا عجيب.. إن عمرها المفترض سنوات قبل أن تفسد فكيف احترقت بمثل هذه السرعة ؟ قال احد المهندسين بقلق : اننا لن نستطيع قياس درجة حرارة المفاعل إلا بالطرق اليدوية !

تساءل ماجد : اتعني دخول غرفة المفاعل نفسها ؟

رد المهندس : لا.. هذا مستحيل ومحظور تماما.. اننا سنقوم بقياس الحرارة الداخلة إلى المفاعل والحرارة الخارجة عنه من خلال انابيب المياه ذاتها وهي وسيلة غير مضمونة.

هز ماجد كتفيه وهو يقول: يبدو أنه لا فائدة لوجودي هنا.. سأعود إلى حجرة العمليات.

واتجه خارجا عائداً إلى حجرة العمليات.. «فوجئ بالكابتن « زاكي » في انتظاره !

تفحص « زاكي » ماجد بعيون ضيقة منذرة وهو يقول : أخبروني أن عطلا أصاب اجهزتك.

ــ هذا صحيح يا سيدي.. ولقد ذهبت لفحصه في حجرة التحكم.

ــ وماذا وجدت

ــ يبدو أن احدى الدوائر المغناطيسية احترقت فعطلت الجهاز بالكامل بامتداد وصلاته.. واخبرني العاملون بحجرة التحكم أنهم سيضطرون إلى قياس درجات حرارة المفاعل يدويا.

ــ هذا سيئ.. سيئ جدا خاصة ونحن في بداية رحلتنا.

ــ تماما يا سيدي.

ومرت لحظة صمت والكابتن يتطلع إلى ماجد بعمق كأنه يخترق ملامحه ويقرأ افكاره، ثم غادر المكان بدون ان ينطق بحرف واحد. تنفس ماجد بعمق.. كان ثمة احساس بداخله يوحي له بانكشاف أمره ولكنه تمالك وجلس في مقعده، وسأله يعقوب بقلق : ماذا هناك يا« جاك »، ليس من المعتاد أن يأتي الكابتن بنفسه في حالة حدوث عطب مثل هذا.

ــ لا أدري.. يبدو أن هناك أموراً غريبة تحدث هنا.. هل تصدق

أن بعض البحارة يقفون على الأبواب للحراسة وسألني احدهم عن بطاقة تحقيق الشخصية وتصريح المرور.

ظهر الاندهاش على وجه « يعقوب » وتساءل : وما معنى ذلك ؟

ــ لا أدري ولكن يبدو أن هذه هي أوامر الكابتن « زاكي ».

ــ اتظن أن هناك غريبا تسلل إلى داخل الغواصة ويخشى الكابتن من قيامه بتخريبها ؟

ــ ربما.. وان كان الأولى بالكابتن أن يدفع بحماية الغواصة إلى الضابط لا الى البحارة.. ان هذا ضد كل الاعراف والتقاليد البحرية. غمغم يعقوب قائلاً : هذا صحيح إلا اذا كان الكابتن يشك في احد الضباط.. إن هذا يفسر الأمر تماما.

ــ معك حق.. إن الامر يبدو كذلك.

ضحك يعقوب قائلا : لن يطول الامر حتى نصل إلى بلادنا وهناك سنعرف كل شيء على حقيقته.

ــ ولكن.. ألا تظن أن بمقدور ذلك الغريب العبث بالغواصة قبل وصولنا الى هناك ؟

ــ وكيف سيمر من الأبواب الالكترونية والحراسة.. لا أمل في ذلك يا صديقي.

واستمر بقية اليوم في صمت والجميع منشغلون بأجهزتهم.. ولم يظهر الكابتن « زاكي » مرة اخرى..

وعند الظهر ذهب الجميع لتناول غذائهم في غرفة الطعام ثم

عادوا إلى اعمالهم. وفي السابعة مساء اطفئت الانوار البيضاء وحلت محلها اضواء حمراء.. وكان هذا يعني أن الليل قد حل في الخارج وان الضوء الاحمر سيظل منيراً إلى أن تشرق شمس الغد فيختفي الضوء الاحمر ويحل الضوء الابيض داخل غرف وردهات الغواصة، وبالتالي يتبعه تغيير وردية العاملين وحلول مجموعة اخرى مكانهم.

بعد فترة من الوقت انتهى عمل الفريق الأول الذي تولى قيادة الغواصة منذ الصباح الباكر وحل محله الفريق الثاني كما هو متبع في قيادة الغواصات.

وذهب ماجد لتناول العشاء، وانضم إلى مجموعة من الضباط لمشاهدة احد الافلام الهزلية في صالة خاصة.. واخذ يشرب عدداً كبيراً من اقداح البيرة ليبدو مثل « جاك » في تصرفه تماما، برغم كراهيته للبيرة ومذاقها المر. ونهض وهو يتظاهر بالترنح والسكر متجها خارج حجرة الطعام « ويعقوب » يسنده وهو يقول بضيق : ألن تكف عن عادتك السيئة في شرب البيرة حتى تكاد تفقد وعيك.

غمغم ماجد بكلمات لا معنى لها، متصنعا أن البيرة افقدته صوابه. وكان يحاول أن يبدو طبيعيا لا يحاول أن يثير شكوك أحد، خاصة وأن تعمده تعطيل جهاز قياس الحرارة ومغادرته مكانه لفت الانظار اليه. وفي العاشرة تماما كان ماجد يبدل ملابسه في عنبر النوم، وانتبه إلى أن « يعقوب » ينظر الى ذراعه العارية مندهشا فسأله : ماذا هناك يا يعقوب ؟

ابتلع « يعقوب » لعابه واخفى دهشته وهو يقول : لا شيء.. لا شيء. واتجه إلى فراشه في الحال.. وتعجب ماجد ولم يفهم ما حدث واتجه إلى فراشه ايضا متظاهراً بالنعاس.. وخلال نصف ساعة كان النوم قد غلب الجميع واطفئت الانوار.

وبهدوء نهض ماجد وتسلل من فراشه وارتدى ملابسه واتجه نحو الباب.. فقد كان يدرك أن وقت العمل قد حان.



« في الاسر »

فتح ماجد باب عنبر النوم ببطء وحذر.. لم يكن هناك احد بالخارج، وكان رئيسه لحسن حظه قد نسي ان يستعيد منه تصريح المرور وكان هذا سيعينه حتما في اجتياز الاماكن المحظورة.

كان قد أدرك أن هناك شكوكا تحوم حوله، وان امر انكشافه قد اقترب، ولذلك كان عليه العمل بسرعة وتفجير الغواصة بأي وسيلة.

كان يعرف أن فرصة نجاته تكاد تكون منعدمة.. ولذلك قرر أن تكون نهاية الجميع في قلب الغواصة الذرية.

إن الوصول إلى غرفة المفاعل النووي يكاد يكون مستحيلاً، ولذلك من الافضل له تدمير الغواصة عن طريق طوربيداتها.. وكانت خطته في ذلك سهلة بسيطة.. فحجرة الطوربيدات تحوي اجهزة وشاشات الكترونية غاية في الدقة تتحكم في مسار الطوربيد وتوجيهه بعد اطلاقه، وليس أسهل عليه من اطلاق ثلاث أو أربع طوربيدات في الماء.. ثم توجيهها بعد ذلك لتنفجر في بدن الغواصة وتغرقها !

وكان ماجد يدرك ان انفجار المفاعل النووي أو القذائف النووية في الغواصة يعني دماراً بحريا كبيرا، وتلوثاً شديداً في مياه المحيط مما قد يتسبب في كارثة عالمية، لذلك استقر رأيه على تفجير الجزء الامامي أو الخلفي من الغواصة، واغراقها بمن فيها بدون المساس بحمولتها الذرية.

وعلى الفور اتجه ماجد إلى حجرة الطوربيد دون أن يعترضه شخص ما.

همس « يعقوب » في جهاز لاسلكي صغير : لقد غادر عنبر النوم أيها الكابتن « زاكي »، انه يسير باتجاه غرفة الطوربيد.

ارتسمت ابتسامة وحشية على وجه « زاكي » وقال : لقد توقعت ذلك.. اعدُّوا له استقبالا حافلا هناك.

ابرز ماجد للبحار المسلح الواقف على باب حجرة الطوربيد تصريح المرور فأفسح له الطريق، ومد ماجد التصريح في فتحة الباب الالكترونية وظهر بداخل الحجرة سبعة من الضباط ممن يتعاملون مع الاجهزة المختلفة، وقد انتصفت الحجرة إلى نصفين كانوا يشغلون منه النصف الاول ويفصلهم عن النصف الثاني حاجز زجاجي سميك لا يخترقه الرصاص قد رص خلفه عدد كبير من الطوربيدات امام انابيب اطلاقها.

وكان على ماجد السيطرة على الموجودين بالحجرة بأي وسيلة، ولم يكن معه سلاح ما.. واستدار ناحية الحارس الواقف على حراسة

الحجرة وبضربة مفاجأة في ظهره اندفع الحارس للامام واصطدم بالحائط الصلب وتهاوى على الارض، والتقط ماجد مدفعه الرشاش وصوبه نحو العاملين بالحجرة قائلا بصوت منذر : عند أي حركة أو اعتراض سأطلق الرصاص. توقف الضباط ذاهلين، واشار ماجد بسلاحه إلى احدهم قائلا : جهز ثلاث طوربيدات للاطلاق.

تساءل الضابط ذاهلا : وعلى من سنطلقها ؟

رد ماجد بصوت رهيب : سنطلقها على هذه الغواصة !!

ظهر الذهول في عيني الضباط، وصرخ احدهم : هل انت مجنون ؟

واندفع نحو ماجد، ولكن دفعة من رشاش ماجد اسقطته جريحا على الارض، ووقف بقية الضباط وهم يرتجفون في هلع.

وبهدوء انفتحت طاقة صغيرة في السقف وظهر في فتحتها مغناطيس قوي، وعلى الفور طار المدفع الرشاش من يدي ماجد بقوة شديدة والتصق بالمغناطيس في سقف الحجرة.

بوغت ماجد بالحركة وجمد لحظة، وعلى الفور انفتح باب جانبي، واندفع منه ستة من البحارة الشرسين مصوبين رشاشاتهم نحو صدر ماجد، ففوجئ بالأمر ولم يستطيع الحراك.

ومن الباب الامامي ظهر الكابتن « زاكي » وهو يبتسم نحو ماجد ابتسامة ساخرة شديدة القسوة وهو يقول : منذ وقت اوحشتنا المعارك الصغيرة ورؤية الدماء وهي تسيل.. هل تظن انك خدعتنا أيها الثعلب..

لقد كنت اشك فيك منذ تسببت في تخريب جهاز قياس حرارة المفاعل وان لم أكن متأكداً وقتها.. ولكن غلطة غير مقصودة هي التي كشفتك والفضل فيها يعود إلى « يعقوب ».

وظهر « يعقوب » من خلف « زاكي » وهو ينظر إلى ماجد نظرة مليئة بالكراهية وهو يقول: هذا الرجل ليس هو « جاك » وان كان يماثله في الملامح بطريقة مذهلة حتى كأنه توأمه.

قال « زاكي » ساخراً : لقد اكتشف « يعقوب » حقيقتك مصادفة.. لأن جاك في الليلة الماضية وبعد أن شرب البيرة كعادته اندفع في معركة مع بعض زملائه فأصابه احدهم بجرح في ذراعه.. وعندما شاهد « يعقوب » ذراعك وانت تبدل ملابسك استعدادا للنوم لم يشاهد أثراً للجرح.. والجراح لا تندمل بسرعة فأنا ادرى بها.

دق قلب ماجد عنيفا للمصادفة السيئة التي كشفت عنه ولم يتوقعها. وهتف « يعقوب » في ماجد بغضب شديد : ماذا فعلت « بجاك » أيها المجرم.. هل قتلته ؟

لم ينطق ماجد وشمل الموجودين في المكان بنظرة باردة وعيناه مصوبتان على الأسلحة التي تحيط به من كل اتجاه.

تساءل احد البحارة مزمجرا وفوهة مدفعه في صدر ماجد : هل اقتله يا سيدي ؟

ــ ليس بعد ايها الغبي.. علينا أن نمزقه أرباً إلى قطع صغيرة

وهو حي ونلقي باطرافه امام عينيه للأسماك المتوحشة في الخارج.. ثم نحتفظ برأسه لنهديه إلى رؤسائنا.

وبصوت رهيب اكمل: خذوه إلى حجرتي.. ان هذا الثعلب سيلاقي من العذاب ما لن يجد له مثيلا في الجحيم.

دفع البحارة ماجد بعنف، وصوب احدهم مؤخرة مدفعه الرشاش نحو فك ماجد وضربه بقوة فتحاشى ماجد الضربة، وسدد لكمة هائلة إلى بطن البحار الذي ترنح للخلف، وقبل أن يستولي ماجد على مدفعه الرشاش انهال البحارة بمؤخرات مدافعهم الرشاشة فوق رأسه وجسده بعنف ووحشية كقطيع من الحيوانات المفترسة، فانفجرت الدماء من وجه ماجد وسقط على الارض فاقدَ الوعي لشدة ما أصابه.

* * *

« الملاك الحارس.. لا يأتي مرتين »

احس ماجد بشيء بارد مثلج يسقط فوق وجهه.. كان هناك احساس شديد بالالم يمزق اطرافه كأنما يجذبه شخص من رسغيه بقوة شديدة. فتح عينيه ببطء وتراقصت المرئيات امامه.. فرأى بحاراً يسكب ماء مثلجا فوق رأسه لافاقته.. وكان اول ما ميزه من الوجوه المحيطة به هو وجه الكابتن « زاكي » بعينيه اللتين تشبهان عيني الذئب. وكانت في العينين نظرة متوحشة، وزأر « زاكي »: ها أنت قد استعدت وعيك أيها الثعلب القذر.. مرحى.. مرحى.. ان لك بنية قوية جعلتك تستعيد وعيك بسرعة.. ولا بد أنك ستحزن عندما تعرف أن رجالنا يقومون باصلاح اجهزة الحرارة التي قمت بتخريبها وقد أوشكوا على ذلك.

كان ماجد مقيدا من رسغيه إلى الحائط بقيود حديدية، وكان الألم الذي احس به ناشئا من ضغط القيود على رسغيه عند فقدانه وعيه وسقوطه بجسده لأسفل.

تحامل ماجد على نفسه ونهض ليخفف الألم في معصمه.. كان

يحس كأنهما قد انخلعا من شدة الألم.. وكانت عينه اليسرى متورمة لشدة ما نال من ضربات موجعة فيها، حتى انه لم يعد يشاهد بها شيئا لشدة تورمها، وكان الألم المنبعث منها ايضا لا يطاق.

انتبه ماجد إلى انه مقيد في كابينة الكابتن، فقد كانت واسعة فخمة بها فراش وثير بأحد الاركان وعدة اجهزة للاتصال بالعالم وشاشات وخرائط ملاحية وبوصلة.. وكانت هناك اسئلة قلقة تدور في عقله، ترى ما موقعهم في المحيط الآن.. وما هي المدة التي استغرقها في فقدان وعيه، وهل اقتربت الغواصة من بلاد الاعداء؟

وافاق ماجد من افكاره المضطربة على ضربة هائلة وجهها له احد البحارة في بطنه وهو مقيد اليدين لا يستطيع الحركة، وأحس ماجد بألم هائل مكان الضربة فندت عنه آهة ألم خافتة واحتقن وجهه.

هتف ماجد في البحار بضراوة: أيها القذر.. لقد اعتدت أن تضرب وتقتل كالنساء واعداؤك مقيدون أمامك. ولو كان بك ذرة شجاعة لقاتلت رجلا لرجل.

زأر البحار بوحشية وكاد يندفع نحو ماجد ثانية ليلطمه بقبضته ولكن الكابتن صرخ فيه: دعه يا «بوكس».. انه أسيري وأنا أريد استرجاع الأيام الجميلة في «فيتنام» معه.

تساءل احد البحارة: ألن نتخلص منه يا سيدي؟

هز الكابتن رأسه وهو يقول: لا.. لقد جاءت الأوامر من بلادنا

بالابقاء عليه حيا.. ويبدو أن هذا الرجل له قيمة كبيرة ونحن لا ندري.. انهم يخمنون انه أحد اعظم رجال المخابرات العرب، وهم يقولون إنهم لا يشكون أبداً انه « ماجد شريف » فلا أحد يجرؤ على دخول غواصتنا غيره.. انهم يعدون حفلا لاستقباله وقد اطلقوا عددا من السفن لمرافقتنا في رحلة العودة وستصل في ظرف ساعات قليلة.

ولمعت عيناه وهو يقول: انهم يخشون ان يرسل المصريون سفنا وغواصات لقتالنا واستعادة هذا الثعلب بعد انكشاف أمره.. وهم لا يعلمون أن اسلحة غواصتنا النووية كفيلة بنسف « القاهرة » وجعلها أطلالا بملايينها الاربعة عشر.. سوف يكون ذلك أجمل مشهد أراه في حياتي. وقهقه « زاكي » بجنون بصوت عال.

وقال أحد البحارة غاضبا: ولكننا لا يمكن أن نسمح بتسليم هذا الثعلب لحكومتنا.. انه صيدنا نحن وقد تعودنا أن نتصرف فيما تقتنصه ايدينا. لمعت عينا « زاكي » بخبث وهو يقول: إن الأوامر هي الأوامر.. وما دامت الأوامر قد جاءت بتسليمه حياً فيجب أن نفعل.. ولكننا قبل ذلك سنقوم بعمل آخر.. سوف ننتزع أطرافه ونقطعها، وسنشوه وجهه ونقتلع عينيه ولكننا في النهاية سنسلمه لحكومتنا حياً.. وهكذا أيها الرفاق سننفذ الأوامر. وفي نفس الوقت سنشبع رغبتنا في تقطيع اطراف هذا العميل والقائها للاسماك المتوحشة.. سوف يكون ذلك شيئا ممتعا.

واخرج « زاكي » من احد ادراج مكتبه سكينا طويلة حادة كأنها سيف صغير، فتعالت كلمات الاستحسان والاعجاب من بحارته العشرة، واقترب « زاكي » من ماجد وهو يقول له : ما الجزء الذي تحب أن نبدأ به.. اصابعك أم اذنيك أم نبدأ ببتر أجزاء من كتفيك.. هيا أخبرني بسرعة فانني متحرق شوقا إلى البدء. ومس بسكينه الطويلة صدر ماجد وضغط عليها فأحس ماجد بألم هائل وانبثق شريط من الدم الاحمر القاني مكان السكين.

صاح البحارة العشرة بوحشية واستمتاع واخذوا يضحكون في سرور.. على حين اثار منظر الدماء « زاكي » وجعله يبدو أشبه بحيوان مجنون.. واقتربت السكين مرة أخرى بين اصابع ماجد المفرودة، وضغط عليها « زاكي » فأحس ماجد بنصل السكين يخترق جلده بين اصابعه اليسرى والدم يتدفق منها.

وقال « زاكي » لماجد : والآن أي اصبع تحب أن نبدأ به.. هيا أخبرني بالاصبع الزائد عن حاجتك لأبدأ به.

احس ماجد بغضب هائل.. غضب لم يشعر به في عمره أبداً.. كان يتفجر بداخله احساس رهيب بالعجز وهو مقيد من يديه لا يستطيع الحركة.. كانت يداه مقيدتين بقيد حديدي يستحيل الفكاك منه.. وكانت قدماه حرتين ولكن قيود يديه كانت تشل حركته إلى الحائط.

وزمجر « زاكي » وضغط بسكينه ما بين اصابع ماجد، ولم يستطع

ماجد تحمل الألم اكثر من ذلك، وبحركة خاطفة امتدت قدمه في ضربة مؤلمة « لزاكي » في بطنه، فتراجع الكابتن وهو يزمجر بشدة.. وارتعش الجنون في عينيه وصرخ : لقد اخترت مصيرك بيدك أيها القذر.. لا أحد يمس « زاكي » وقد ظهر القلق في عينيه وغمغم : يبدو أن هناك خطرا ما.

وأسرع إلى جهاز الاستقبال وفتحه وهتف : ماذا هناك أيها المساعد ؟

وجاء صوت المساعد مضطرباً قلقا : لقد اصلحنا اجهزة قياس الحرارة يا سيدي واكتشفنا أن درجة حرارة المفاعل الذري قد تضاعفت.. اننا نواجه خطراً شديداً يا سيدي.

صرخ « زاكي » : ماذا تقول أيها الغبي.. ومن الذي عبث بحرارة المفاعل.. ضاعفوا من جريان الماء البارد في المفاعل.. افعلوا أي شيء والا انفجر المفاعل وقتلنا جميعا.. اوقفوا هذا المفاعل واوقفوا المحركات حتى تقل الحرارة. واندفع نحو رجاله صارخا : اتبعوني.. اننا في خطر شديد.

هرول البحارة العشرة خارج الكابينة وقد أصابهم الذعر، وأمسك « زاكي » ماجد من ياقته وهتف بصوت مبحوح : انك السبب. لا بد أنك عبثت بمفاتيح حرارة المفاعل.. سوف نعالج هذا الخطأ فوراً واقسم أن انتقم منك بعدها شر انتقام.

وألقى بالسكين على الارض غاضبا واندفع خارجا من الكابينة

كالمجنون. وتنفس ماجد في راحة.. جاء الأنقاذ في الثانية الأخيرة وتدخل « ملاكه الحارس » في اللحظة المناسبة.

كان ماجد واثقا أن اصلاح الخلل لن يستغرق وقتاً طويلا وأن ايقاف المحركات والمفاعل النووي ومضاعفة جريان الماء البارد فيه سوف يُهبط من حرارته وسوف يستعيد المفاعل حرارته العادية، ثم تواصل الغواصة رحلتها لتتقابل مع الاسطول البحري الذي أرسله العدو لاستقبالها، ووقتها لن يستطيع أن يفعل شيئا.. ولكن توقف الغواصة كان يمنحه لحظات ثمينة عليه انتهازها. انما يجب ان يتخلص من قيوده اولا. وكان الجهاز الصغير الذي يتحكم في قيوده امامه على مسافة خطوتين من مكانه.. بينما حل قيوده الحديدية يتطلب ادارة احد مفاتيحه جهة اليسار. مد ماجد قدمه نحو الجهاز.. ولكن قيود يديه منعته من الوصول بقدمه إلى المفتاح.. كانت تفصلهما مسافة لا تقل عن نصف متر.

وحاول ماجد مرة اخرى ولكن المحاولة فشلت ايضا، وكادت قيوده تحطم معصميه وهو يجذب جسده بعيداً محاولا الوصول إلى المفتاح بقدمه.. وضاعف نزيف صدره وأصابعه التي جرحتها سكين « زاكي » من آلامه.

ووقعت عينا ماجد على السكين التي القاها « زاكي » على الارض.. كانت لا تبعد اكثر من نصف متر عنه.. وعلى الفور لمعت الفكرة في ذهن ماجد فتخلص من حذاء قدمه اليمنى باستخدام

قدمه الاخرى، ومد قدمه نحو السكين، وبأصابع قدمه استطاع الامساك بمقبضها.. ورفع السكين الطويلة بقدمه ومدها نحو الجهاز.. وببطء وحذر أدار مفتاحه بسن السكين فطاوعه المفتاح بعد عدة محاولات.. وانحلت قيوده.

امسك ماجد بمعصميه اللذين كانا لا يزالان يؤلمانه بشدة واخذ يدعكهما.. ومزق جزءاً من سترته وربط مكان الجرح في صدره واصابع يده اليسرى.. والتقط السكين واخفاها بين ملابسه واتجه إلى احدى الخرائط الالكترونية التي كانت تحدد موقع الغواصة في المحيط. كانت الغواصة تبعد ما يقرب من ثلاثين كيلومترا عن جزيرة « سانت هيلانة » في وسط المحيط الاطلنتي على خط عرض « ١٥ » درجة جنوب خط الاستواء.. وظهرت على الشاشة نقاط صغيرة حمراء تمثل اسطول العدو البحري الذي هب لملاقاة الغواصة وكان يبعد ما يقرب من مائتي كيلو متر جنوبا.. وكان هذا يعطي ماجد فرصة ثمينة للتصرف قبل وصول سفن العدو.

احس ماجد بحركة أمام باب الكابينة فأسرع يختفي خلفه، وانفتح الباب وظهر « زاكي » في مدخل الكابينه، وما كاد يخطو داخلها حتى اندفع ماجد من خلفه في حركة مفاجئة وطوق رقبته بذراعه اليسرى وسدد نصل السكين الحاد إلى صدر « زاكي » قائلا: إذا حاولت المقاومة فسأغرز السكين في قلبك. ظهر الرعب في عيني « زاكي ». واستل ماجد من حزام « زاكي » مسدسه، ثم دفعه بعيداً



وصوب مسدسه نحوه وهو يقول: والآن اعط أمراً لضباطك بالطفو فوق سطح الماء.

هتف « زاكي » مذعورا : ماذا ؟

ــ قلت لك اعط ضباطك أمراً بالطفو فوق سطح الماء بالغواصة.. أم هل تريدني أن ادمرها واغرقها وهم في قلبها.

ظهر الرعب في عيني « زاكي » وزحف على ركبتيه نحو ماجد متوسلا وهو يقول : ارجوك يا سيدي.. إننا ننفذ الأوامر ولا ذنب لنا فلا تقتلنا.

واخذ ينتحب بشدة وهو يتوسل ماجد ويرجوه بذلة واستكانة.. وتعجب ماجد من منظر الكابتن المتوحش الذي انقلب إلى انسان جبان يتوسل ويبكي، ولم ينتبه ماجد إلى ما يقصده « زاكي » من تظاهره..

وعلى حين غرة جذب « زاكي » ماجد من قدمه بحركة مفاجئة فاختل توازن ماجد وسقط على الارض، وألقى « زاكي » بنفسه فوق صدر ماجد وامسك بيده يد ماجد القابضة على المسدس، وبيده الأخرى قبض باصابعه حول رقبة ماجد. احس ماجد أنه يكاد يختنق، وحاول ازاحة « زاكي » في تخليص المسدس من اصابع ماجد الذي كان جاثما فوقه كحيوان متوحش مفترس.. ونجح « زاكي » في تخليص المسدس من اصابع ماجد الذي كان يعاني من الضعف لشدة تعذيبه وما سال منه من دماء. وصوب « زاكي » مسدسه نحو رأس ماجد وهو يقول بكراهية ممقوتة : أيها الثعلب

الماكر. لسوف أملأ رأسك بالرصاص فتصير كالمصفاة ولتذهب الأوامر إلى الجحيم.

جن جنون ماجد وادرك نهايته وعرف أنه لن يجد من ينقذه هذه المرة ولا حتى ملاكه الحارس، وبحثت اصابع يده الجريحة حوله فعثرت على سكين « زاكي » الطويلة الملقاة على الارض، وتقلصت اصابع ماجد على السكين، وقبل أن يطلق « زاكي » مسدسه امتدت يد ماجد بالسكين بحركة مباغتة لتطيح بالمسدس والاصابع القابضة عليه. حدث الامر بثانية واحدة. وقطع ماجد يد « زاكي ».. وحملق « زاكي » في يده المقطوعة لحظة قبل أن يستوعب ما حدث، ثم صرخ صرخة هائلة وارتمى على الارض وهو يتمزق من الألم كحيوان مذبوح.

نهض ماجد بعيون قاسية متحجرة.. لقد كانت معركة حياة أو موت.. فإما هو أو عدوه.. وكانت السكين في يده لا تزال تقطر دماً وقد تلوثت ملابسه وصدره بالدم الذي انفجر من ذراع الكابتن واغرق الارضية. وقال ماجد لزاكي بلهجة لا أثر للعواطف فيها : هذا بعض من انتقام السماء لمن عذبتهم من قبل وتلذذت بقتلهم.. والآن فإنني امرك مرة اخرى باصدار أوامرك الى ضباطك بالطفو بالغواصة قريبا من شواطئ جزيرة « سانت هيلانة » وإلا فانني ساقطع رقبتك هذه المرة.. ولا اظن ان السمك الذي سيلتهمها سيستطيب طعمها القذر !

انفجر « زاكي » باكيا بصوت يقطر ألماً وهو يقول : لا تفعل يا سيدي أرجوك.. سانفذ كل ما تقوله. واخذ يربط ذراعه المقطوعة ليوقف نزيفها، ونهض وهو يترنح نحو جهاز الاتصال الداخلي، فقال له ماجد محذرا : لا تحاول أي خدعة.. سوف تكون حياتك هي الثمن.. واطلب من الجميع مغادرة الغواصة عند الطفو.

تمتم « زاكي » بألم رهيب : سأفعل.. سأفعل فلا تؤذِني.

واقترب من جهاز الاتصال وأدار مفتاحه بيده اليمنى الباقية وبصوت متحشرج مبحوح هتف فيه : انتباه.. انتباه.. إلى جميع الضباط والبحارة.. وبلحظة خاطفة اخرج من ملابسه سكينا صغيرا واستدار بسرعة البرق نحو ماجد وغرز السكين في كتفه فتراجع ماجد إلى الخلف وهو يتألم بشدة من جرحه.

وصرخ « زاكي » في جهاز الاتصال الداخلي : لقد فر السجين من قيوده، أسرعوا إلى غرفة الكابتن بكل اسلحتكم لنجدته !

* * *

« الشر بالشر.. والبادي اظلم »

تراجع ماجد للخلف وهو يحس بألم شديد وان قواه تخور وأنه يوشك على الاغماء مرة أخرى لشدة ألمه.. واستدار « زاكي » نحوه بجنون ووحشية وقد التمعت عيناه كنمر هائج، وأطبق « زاكي » بيده اليمنى على رقبة ماجد واخذ يضغط عليها بقوة رهيبة وهو يزأر بجنون.. وأحس ماجد بأنه يختنق وقواه تضعف وتخور.. واصطدم كتفه الجريح بالحائط الخشبي فأحس كأن شرارة من اللهب قد مزقت لحمه.. وانتبه إلى السكين التي لا تزال مغرزة في كتفه، وبقوة قاهرة انتزعها بيده الاخرى برغم الألم الممض، ثم دفع بها في قلب « زاكي » في نفس اللحظة. وجحظت عينا زاكي بألم هائل وتراخت اصابعه عن رقبة ماجد وفتح فمه ليقول شيئا، ولكن الكلمات لم تخرج من بين شفتيه، وسقط على الارض بلا حراك.

وبرغم آلام ماجد الشديدة فقد تحامل على نفسه، كان يدرك أنه لا وقت للآلام وأن رجال الكابتن سوف يهرعون إلى كابينته

حالا.. فأسرع يغلق بابها من الخلف في اللحظة التي انهالت ايدي وطرقات البحارة والضباط على الباب من الخارج تحاول تحطيمه.

واسرع ماجد إلى باب خلفي صغير وخرج منه. وسار بحذر في ردهة جانبية للغواصة.

وكانت تصل إليه اصوات الضباط والبحارة وهم يهرولون في اضطراب شديد بأعلى، بعد أن اشاعت كلمات الكابتن الذعر في قلوب الجميع.

وكان على ماجد أن يتحاشى رؤية أحد له.. فما كانت به قوة لمواجهة أي من البحارة والضباط وهو بلا سلاح.. وكان عليه الوصول إلى غرفة العمليات بأي ثمن فقد كانت هي الأمل الأخير الباقي له للسيطرة على الغواصة. وكانت حجرة العمليات لا تزال بعيدة عنه.. وفجأة برز احد البحارة امامه، وفوجئ البحار بماجد فأسرع يصوب مدفعه الرشاش نحوه.. واستجمع ماجد قوته وطار في الهواء ليضرب البحار في وجهه بكل ما تبقى له من قوة.

وسقط البحار على الارض فأسرع ماجد ينتزع مدفعه الرشاش منه، وما أن حاول البحار النهوض حتى اطلق عليه ماجد دفعة من الرصاص فهمدت حركته.

وادرك ماجد أن صوت الرصاص لا بد سيأتي بعشرات من البحارة والضباط فأسرع يبتعد عن المكان ووجد نفسه امام باب حجرة

العمليات. اندفع ماجد نحو الباب ولكنه كان مغلقا، وكان يستحيل عليه فتحه ولو باستخدام الرصاص فقد كان مصفحاً لا يفتح إلا بالبطاقة الالكترونية. وفجأة انفتح الباب وظهر أحد الضباط خارجا منه، وعلى الفور دفعه ماجد إلى الداخل مرة أخرى وقفز خلفه إلى قلب الحجرة.

كان بداخل الحجرة ثلاثة ضباط اخرين منهم « يعقوب » وفوجئوا جميعا بما حدث. وصوب ماجد مدفعه الرشاش نحوهم وهو يقول: إذا تحرك أحدكم أو حاول المقاومة فسأصرعه على الفور.

انكمش الضباط في أماكنهم ولمع في عيني « يعقوب » بريق من الكراهية والحقد نحو ماجد، ولوح لهم ماجد مهددا بمدفعه الرشاش قائلا: تراجعوا جميعاً إلى الخلف وقفوا بجوار الحائط. نهض الضباط ببطء وهم ينظرون إلى بعضهم في قلق، وارتصوا أمام الحائط. وأشار ماجد إلى ضابط التحكم في غوص الغواصة وطفوها قائلا: أنت.. تحرك واجلس فوق هذا المقعد.

واشار ماجد إلى مقعد ضابط التحكم في خزانات الغواصة التي كانت تسمح لها بالطفو أو الغوص.

تحرك الضابط وجلس على المقعد بصمت، وقال ماجد له: إبدأ في تفريغ الخزانات من الماء فسوف نطفو على السطح.

أدار الضابط بعض الاجهزة والمفاتيح أمامه.. وعلى الفور بدأت الغواصة في تفريغ خزاناتها من ماء وبدأت تطفو رويدا رويدا حتى

استقرت فوق سطح الماء، وكشفت الاجهزة التليفزيونية سطح المحيط الخارج.. وكانت جزيرة « سانت هيلانة » لا تزال بعيدة في نهاية الافق على مسافة تزيد عن عشرة كيلومترات.

اشار ماجد بسلاحه إلى الضابط قائلا : والآن اضغط على اجهزة التحذير الاشعاعي.. أريد انذارا داخل الغواصة لجميع العاملين بأن هناك تسرباً اشعاعياً خطيراً قد حدث واجعلهم يغادرون الغواصة فورا.

تطلع الضباط إلى بعضهم البعض بذعر.. كان تنفيذ هذا الامر يعني استيلاء ماجد على الغواصة بسرعة قبل أن يهتدي البحارة والضباط بالخارج إلى مكانه في غرفة العمليات ويحاولون اقتحامها.

اعترض الضابط الذي وجه اليه ماجد الأمر قائلا : ان المحيط مليء باسماك القرش في هذه المنطقة.. سوف تلتهم الاسماك المتوحشة من يحاول الخروج إلى الماء.

أجاب ماجد بخشونة : هذا افضل من اغراقهم بالغواصة.. وسيكون أمام الجميع فرصة للنجاة إذا استطاعوا السباحة إلى جزيرة « سانت هيلانة ».

هتف البحار محتجا : ولكن..

دفع ماجد فوهة الرشاش في صدر الضابط بعنف وهو يقول بصوت منذر : نفذ الأوامر.

لمع بريق طاغٍ في عيني « يعقوب » واندفع نحو ماجد مستغلا انشغاله مع الضابط، ولكن ماجد استدار نحوه في اللحظة المناسبة وافرغ مدفعه الرشاش في صدره فقد كان يتوقع ما فعله، وسقط « يعقوب » على الارض بلا حراك.. وكان ذلك كفيلاً باقناع بقية الضباط بامتثالهم لأوامر ماجد بلا مناقشة.

وضغط الضابط على زر النداء الآلي، وعلى الفور دوى تحذير في كافة ارجاء الغواصة يقول : تحذير.. تحذير.. حدث تسرب اشعاعي من المفاعل.. درجة الاشعاع « ح ».. خطر جدا.. على الجميع مغادرة الغواصة في الحال.. الغواصة مهددة بالانفجار.

وعاد النداء الآلي يكرر التحذير، وعلى الفور تعالت من الخارج أصوات هرولات وصيحات مفزعة.. واندفع البحارة والضباط نحو فتحة النجاة الامامية في الغواصة واخذوا يقفزون بأنفسهم خارجها ويسبحون باتجاه جزيرة « سانت هيلانة ».. وعلى الفور ظهرت اسراب اسماك المتوحشة واندفعت تهاجم السابحين في ضراوة ووحشية.

وتعالت الصرخات المفزعة والسمك المتوحش يواصل مهمته بنشاط رهيب.. وفي دقائق معدودة تم الأمر.

وظهرت على شاشة الكترونية عريضة امامهم اربع نقاط كبيرة كانت تقترب بسرعة، وابتسم ماجد بسخرية شديدة وهو يقول : لقد وصلت السفن التي جاءت لمرافقة غواصتكم وحمايتها.. سوف

تكون هناك مفاجأة لاستقبالها.. سنعد لها حفل استقبال طيب.

ادرك الضباط ما يدور في ذهن ماجد، وصرخ احدهم : هل تريدنا أن ننسف هذه السفن بمن فيها ؟

رد ماجد بهدوء وسخرية : ساشفع طلبي بعبارة« من فضلكم » فإنني رجل مهذب لا يمكن أن آمركم بنسف هذه السفن دون أن يكون ذلك باسلوب مهذب ! صاح ضابط آخر : أيها المجنون.. هل تظن اننا سنرتكب هذه المذبحة بقواتنا ؟

بهدوء اجابه ماجد : أظن انكم كنتم سترتكبون أبشع منها مع قواتنا البحرية بغواصتكم النووية وإلا فلماذا اشترتها بلادكم ؟

صاح الضابط الثالث وهو يرتعش : ولكنهم اهلنا.

ببرود أجابه ماجد : ومن كنتم ستقتلونهم هم أهلي.. وتذكروا أن البادي اظلم.. وانتم بدأتم بالشر بامتلاككم هذا السلاح الرهيب.. ولذلك يجب أن تذوقوا طعمه أولا حتى تدركوا أي شر كنتم تنوون جلبه إلى العالم.

وبصوت رهيب صاح فيهم : انسفوا هذه السفن الاربع.. وإلا فانني سوف انسفكم قبلها ثم انسفها بعدكم.

ارتعش الضباط الثلاثة.. واستقروا فوق مقاعدهم.. وضغطوا فوق اجهزة التحكم المتصلة بحجرة الطوربيد.. وبتوجيه الكتروني صوب الضباط بطوربيداتهم البحرية ثم أطلقوها.. واندفعت أربع طوربيدات

نحو اقرب سفينتين، واصيبت كل سفينة بطوربيدين في جنبيها، وانفجرت الطوربيدات لتحطم اجناب السفينتين وصرخ بحارتها والماء يتدفق إليهم وهم لا يشاهدون العدو الخفي الذي هاجمهم.

وانفجرت السفينتان لما تحمله كل منهما من قنابل وصواريخ، واسرعت السفينتان الباقيتان لنجدة من نجا من انفجار السفينتين الاوليين.. وانفجرت اربع طوربيدات أخرى في السفينتين الثانيتين فانفجرتا في الحال ولحقتا بزميلتيهما. وخلال دقائق قليلة كانت السفن الاربع تغرق في المحيط الذي تناثرت فوقه بقايا السفن المنفجرة ومن نجا من بحارتها، وهم يصارعون الغرق في جنون.

راقب ماجد ما حدث فوق الشاشة التلفزيونية الكبيرة أمامه بوجه جامد وفم مزموم بقسوة، وقال أخيراً والهدوء يعود إلى سطح الماء: سيكون هذا درسا قاسياً لبلادكم حتى لا تفكروا في العدوان على بلادنا مرة أخرى، أو امتلاك مثل هذه الأسلحة الرهيبة.

ونظر إلى الضباط الثلاثة باحتقار قائلا: ما أسهل أن أبحر إلى بلادكم واطلق عليها قذيفة نووية من هذه الغواصة لامحوها من الوجود.. ولكننا لسنا قوما عدوانيين وارهابيين مثلكم.

قال أحد الضباط برعب: وماذا ستفعل بالغواصة.. هل ستأخذها إلى بلادكم؟

ـــ لا أيها الضابط.. اننا لسنا لصوصا ونحن لا نريد امتلاك مثل هذا الشيء الملعون.. لو كنت استطيع تفجير هذه الغواصة

والتخلص من شرها لفعلت، ولكن هذا سيسبب تلوثا اشعاعيا للمحيط وسيضار أبرياء كثيرون بلا ذنب بالاضافة إلى موت كثير من الكائنات البحرية وتلوث الشواطئ.. إن الحل الوحيد هو اغراق هذه الغواصة.

صاح الضباط ذاهلين : اغراقها.. هذا جنون.. إن ثمنها يفوق ملياري دولار فكيف تُغرقها ؟

ماجد : ان الشر الذي تسببه يفوق هذا الثمن بكثير.

قال احد الضباط ذاهلا برعب : ونحن.. ماذا ستفعل بنا.. هل ستقتلنا ؟ تطلع ماجد نحو الضباط الثلاثة بصمت.. كان يدرك أن الموت هو الحل الأسهل له.. ولكنه كان يفكر في حل آخر.. كان بقاؤهم على قيد الحياة ابلغ شاهد على الجريمة التي كانوا سيرتكبونها، كما ان نسفهم لسفن بلادهم سيجعلهم يندمون طوال حياتهم ويدعون للسلام ونبذ الحرب.

وبهدء قال ماجد : انني لن اقتلكم.. بالعكس.. سأدعكم تعودون إلى بلادكم لتخبروهم هناك بما حدث.. عسى أن يكون هذا درساً لهم. لم يصدق الضباط الثلاثة انفسهم واندفعوا يعانقون بعضهم وهم يبكون فرحا لنجاتهم. واشار ماجد لأحدهم ففتح الباب الالكتروني.. وصعد الضباط إلى سطح الغواصة ومعهم قارب مطاطي نزعوا سداداته فامتلأ بالهواء فاسرعوا يستقلونه ويجدفون بسرعة نحو شواطئ جزيرة « سانت هيلانة » القريبة.

اغلق ماجد باب النجاة الامامي وغاص بالغواصة ثانية وانطلق

بها عبر طريق رأس الرجاء الصالح مقتربا من جزيرة « مدغشقر » وتوقف على مسافة عشرة كيلو مترات منها، فارتدى ملابس الغوص ثم ملأ خزانات الغواصة بالماء واغلق ابوابها وابطل عمل مفاعلها النووي فراحت الغواصة تهبط ببطء إلى أسفل.
وبسرعة تسلل خارجا من الغواصة من فتحة النجاة الامامية إلى المحيط، على حين اندفع الماء داخل الغواصة في كل اركانها ليزيد من ثقلها ويهبط بها بسرعة إلى اسفل مثل حجر ثقيل.

وكان ماجد يعرف ما سيحدث للغواصة بعد ذلك عندما تستقر في أعماق المحيط، حيث ضغط الماء يساوي قوة رهيبة ستُهشم الغواصة كما لو كانت لعبة اطفال وطأتها سيارة نقل ثقيلة.

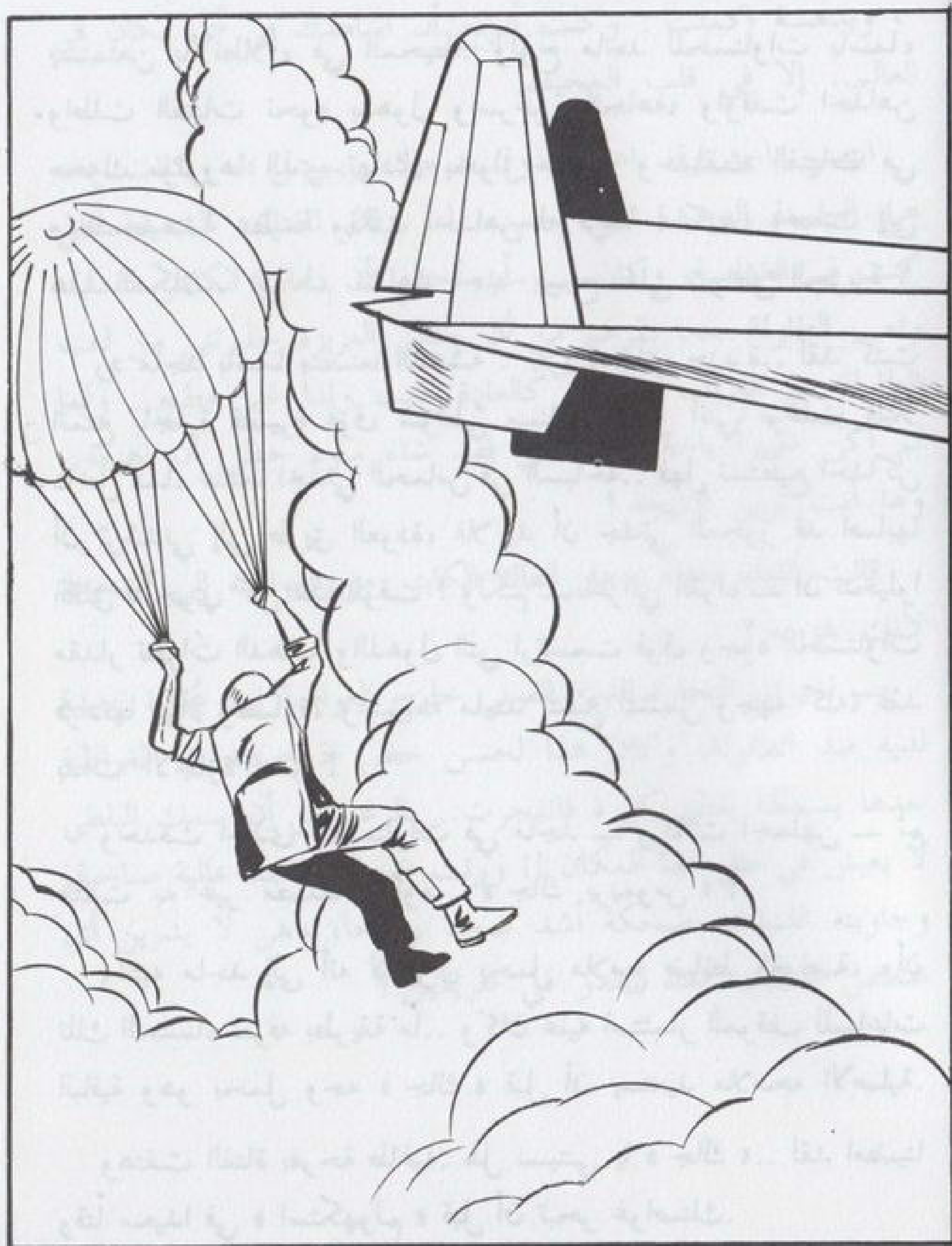


« الاجازة تبدأ.. في قلب المحيط »

صعد ماجد الى سطح الماء وتخلص من ملابس الغوص.. كانت جزيرة « مدغشقر » على مرمى البصر منه وكان يستطيع الوصول إليها سباحة في ظرف ساعة أو أكثر.. ومن هناك يستطيع الاتصال بالسيد « م » والعودة إلى مصر بعد أن يزوده رجال السيد « م » بأوراق السفر اللازمة له.

وابتسم وهو يتخيل منظر السيد « م » وهو يتلقى مكالمته التي يخبره فيها بنجاح المهمة واغراق « السمكة المتوحشة ».. لا بد أن رئيسه سيعتبره اعجوبة الاعاجيب بعد أن يئس من استطاعة ماجد انهاء مهمته على خير وجه، بعد انكشاف أمره داخل غواصة الأعداء، وربما يفكر في منحه وساماً !

وفكر ماجد في شيء آخر.. عدة أيام من الراحة فوق شواطئ جزيرة « مدغشقر » الساحرة ليعوض فيها العناء الذي لاقاه في تلك المغامرة الرهيبة. اخذ ماجد يسبح ببطء بسبب اصابته في كتفه.. ومر من جواره زورق سريع فوقه مجموعة من الحسناوات الاوربيات وهن



يستمتعن بالانطلاق في المحيط. ولوح ماجد للحسناوات باسماً، واطلت الفتيات نحوه بذهول واسرعن باتجاهه، واوقفت احداهن محرك موتورها الذي تهادى بجوار ماجد، وحملقت الفتيات في ماجد بدهشة عظيمة وقالت احداهن له ذاهلة : كيف وصلت إلى هذا المكان.. اننا لم نشاهد أحداً يسبح على شواطئ الجزيرة ؟

رد ماجد باسما متصنعا الدهشة : جزيرة.. أي جزيرة.. لقد كنت اتمتع باجازة قصيرة فوق شواطئ سيناء، ويبدو أنني توغلت قليلا داخل الماء عندما اخذني الحماس في السباحة.. فهل تستطيع احداكن أن ترشدني إلى طريق العودة، فلا بد أن جدتي العجوز قد اصابها القلق لتأخري كل هذا الوقت ! ولكم ــ اعزائي القراء ــ ان تتخيلوا مقدار نظرات الدهشة والذهول التي ارتسمت فوق وجوه الحسناوات فزادتها بهاء ونضارة، وابتسامة ماجد تتسع لتشمل وجهه كله، فقد بدأت الاجازة بحق !

وحدقت احدى الحسناوات في ماجد ــ وكانت اجملهن ــ ثم هتفت به غير مصدقة : أوه.. « جاك بريموس » ؟

وانتبه ماجد إلى أنه لا يزال يحمل ملامح ضابط الغواصة، وأن تلك الحسناء تعرفه بطريقة ما.. وكان عليه استثمار الموقف للساعات الباقية وهو يحمل وجه « جاك » قبل أن يستعيد ملامحه الاصلية.

وهتفت الفتاة بفرحة طاغية: هل نسيتني يا « جاك ».. لقد امضينا وقتاً سعيدا في « استكهولم » قبل أن تبحر غواصتك.

وبدهشة اكملت : وكنت أتوقع أن اشاهدك في أي مكان في العالم.. إلا في قلب المحيط.

ابتسم ماجد وقد اعجبه ذوق « جاك بريموس »، وكانت هذه هي الحسنة الوحيدة التي تُحسب له. وقال للفتاة : الحقيقة أنني كنت في الغواصة، وكان من سوء حظي أن دعاني الكابتن لتسليته ولعب الطاولة معه، بالرغم من أن جدتي العزيزة حذرتني من لعب الطاولة مع الغرباء، ولكنني كالعادة كنت ولداً غير مطيع.. ولما لم أكن خبيراً باخلاق الكابتن فقد شاء سوء حظي أن اهزمه.. وها أنت ترين النتيجة !

قالت الفتاة ذاهلة : هل القاك الكابتن من الغواصة إلى المحيط لأنك هزمته ؟

ـــ اخبرني البحارة الذين القوني خارج الغواصة انها عُقدة نفسية لديه منذ الطفولة، وكان هذا لحسن حظي اذ اصطدمت الغواصة بعدها بسمكة بلطى كبيرة فانفجرت.. بالرغم من أن سمك البلطي لا يعيش في مثل هذا المكان !! ورنت ضحكة ماجد عالية صاخبة، وجاوبته الفتيات بضحكة أشد صخبا ومرحا، وهن لا يدرين أي شخص عجيب ألقاه القدر في طريقهن !

الفهرس

هذه العملية :

تأليف : مَجدي صَابر

نسر الاعماق

تدور المغامرة في هذه المدة في قلب المحيط.. داخل غواصة نووية يمتلكها الاعداء.. وتبحر الى بلادهم لتضاف الى قوتهم.. وجاءت الأوامر الى ماجد بنسف الغواصة ومنعها من الوصول الى شواطئ الاعداء بأي ثمن.. ولم يكن هناك مفر من دخول ماجد الغواصة.. وقبل ان يقوم ماجد بمهمته انكشف امره ووقع في يد اعدائه. ترى ماذا كانت النتيجة هذه المرة ؟



دار الجيل

بيروت

BLUE BIRD




تحيا مصر
تاريخ مصر